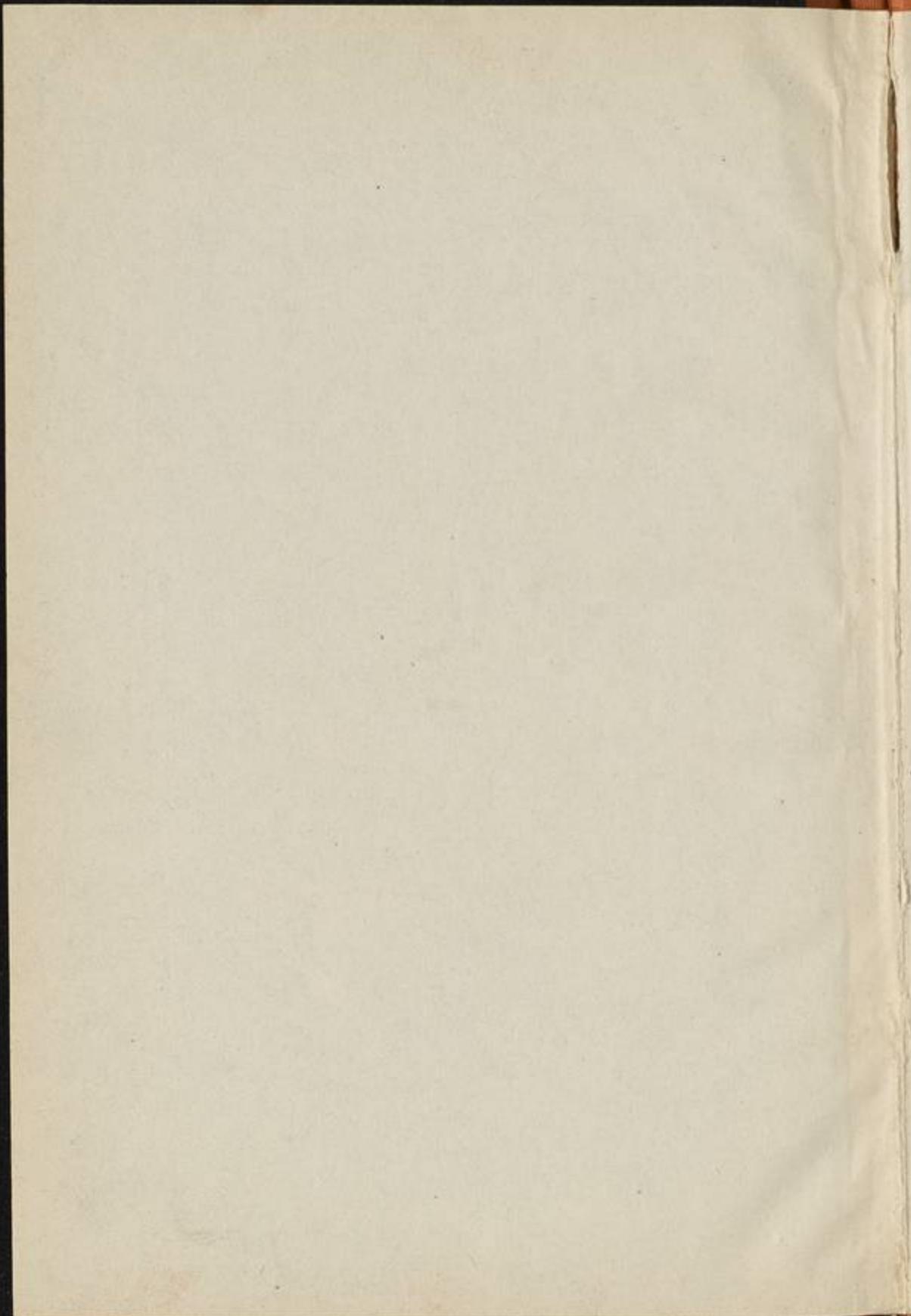


RE

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





39141

PT 15-100%

1/11/1948

1/11/1948

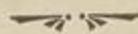
©

167

الفلسفة واللغويات

والالفاظ العربية

تتضمن الادلة اللغوية التحليلية على ان اللغة العربية مؤلفة
في الاصل من اصول قليلة ثنائية آحادية المقطع
معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات
الخارجية والاصوات الطبيعية
التي ينطق بها الانسان
غريباً



لمؤلفها

عمر جري زيدان

منشئ، الهلال

الطبعة الثالثة

مطبعة الهلال بشارع نوبار باشا نمرة ٤ بمصر

سنة ١٩٢٣

UNIVERSITY
OF TORONTO
LIBRARY

793.72
J9793

45-35141

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

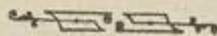
مقدمة الطبعة الاولى

باسم الله مفرق اللغات

هذه عجالة أرفعها الى أهل النظر والتحقيق لينظروا فيها فان أعجبهم مثالها تقدمت اليهم ان يزيدونا من مثلها مما تم به الفائدة وتشخذ له الاذهان فاني عالم ان الموضوع رحب لا يتكفل باستيفائه الا المجلدات الضخمة وأعلم أيضاً ان في السويداء رجالاً لهم من العلم وسعة الاطلاع في اللغة وغيرها مما يؤهلهم لبسط الكلام في هذا الموضوع باكثر مما بسطت والابضاع فيه باكثر مما أبضعت وربما كان ما استوقفهم الى الان عن البحث من هاته الوجبة التي بحثت فيها ليس الا خوف ان لا يجدوا من القراء من يقدر لهم موضوع يجانبهم حق قدره ويقبل عليه بما هو اهل له من الامعان والتروي . وربما كان لخوفهم هذا مسوغ يقضي عليهم معه بالتوقف اذا نظروا الى عائدته المادية ازاء ما يضحون من الوقت اثناء الكتابة والتأليف . الا ان امثال هؤلاء الافضل قد لا يعباون بما يعود عليهم من الفوائد المالية وذلك حباً بالعلم وتنويراً للاذهان ويجتزئون من كل ذلك بما يكون من الفائدة الادبية لعموم افراد الهيئة التي هم بينها وهم في الغالب يدركون كلا الغايتين ولا تفوتهم احدى الغائتين اذا مر عليهم من الزمن ما تشبه لهم في اثنا اذهان القراء من مواطنهم او خلافهم . وعليه أعود فتقدم اليهم ان يزيدونا في هذا الموضوع زادهم الحق علماً وخيراً وان يؤخذوني بما وقع مني من الخطأ فيصلحوه وينتقدوا علي حيث يجدون محلاً للانتقاد حباً ببيان الحقيقة واكون لهم من الشاكرين ولا يزعم بي اني أقول ما أقول ايهاماً ونموبهاً فعاذ الله الا ان أشكر لاهل

فضل وعلم مهم ككشف الحقائق واجلاؤها حق الجلاء من أين أتت . وأحسب لهم
عليّ في ذلك منةً يكاد لا يستطاع ايفاؤها لاني عالم بقصور باغي وامكان تطرق
الخطأ والخلل الى ما كتبت او ذهبت اليه وان كنت لا أرى محل ذلك الان .
هذا ولا أنكر اني كتبت ما كتبت على غاية من السرعة فلم أتمكن من الوقت
الكافي لمزيد النظر والتأمل في مراجعة ما كتبت وتصفيته من شوائب الغفلة
والنقصان فربما غفلت في مواضع عن ذكر ما كان يهم اويجب ذكره وذكرت في
أخرى ما كان جديراً ان لا يذكر او لا يدخل له بالموضوع . واكثر من ذلك اني
تارك الكتاب وهو لم ينجز عن آخره ووكلت الى أحد الخلان مراقبة نجاز
الطبع الاخير والتجليد والتوزيع وكل ذلك لما تدعوني اليه الدواعي من مزيد السرعة
(لاني على شفا رحلة بعيدة الشقة) وفي جميع هذا ما يوجب لي بعض العذر لدى
أهل الفضل المحققين الذين رغبت اليهم في المأخذة والانتقاد تجلية للحقيقة وتمحيصاً لها
وهنا اسأل فضل القراء ان يرمقوا سطرأي هذه بعين القبول ويوجهوا اليها
وجه المقبل - لا أقول ذلك حباً بروج البضاعة غاية الريح انما حباً مني باطلاعهم
على هذه الملاحظات فينظروا لماخذي الذي أخذت به في اللغة فاعلم ان كنت
أصبت أم أخطأت او كان كلا الاصابة والخطأ معاً مع بيان مواقع كل منهما وأنوسل
الى الحق ان ترجح مواقع الاصابة على مواقع الخطأ وان يفيد الكتاب بعض
الافادة أقله في توجيه الانظار الى هذه المباحث من الجهة التي أخذت بها وهو
حسبي واليه أنيب

بيروت في ١٥ يوليو سنة ١٨٨٦



مقدمة الطبعة الثانية

سنة ١٩٠٤

لم يخطر لنا يوم نشرنا الطبعة الاولى من هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٦ انه سيأتي يوم نعيد طبعه فيه لان موضوعه فلسفي جديد لا يرتاح اليه الا فئة قليلة من خاصة الادباء وذوي الاطلاع ممن يلتذون بالابحاث العقلية الفلسفية وهم قليلون في كل زمان ومكان وخصوصاً في بلادنا لقرب عهدنا من العلم والادب فكيف بالابحاث الفلسفية اللغوية وهي جديدة حتى في لغات الافرنج - فنقاد الطبعة الاولى من هذا الكتاب يدل على تكاثر الخاصة من أهل هذا اللسان . أما ادباء اللسان الاخرى فانهم أحلوا هذا الكتاب محل القبول منذ أول ظهوره وكنا قد بعثنا منه أمثلة الى بعض جمعيات المستشرقين في اوربا فجاءتنا كتبهم ومأواها التنشيط والاستحسان واتخبنا « الجمعية الاسيوية الايطالية » يومئذ (سنة ١٨٨٧) عضواً عاملاً فيها من أجل هذا الكتاب - اذ لم يكن لنا مؤلف سواه - وعينت مجلة « مكتب » العلمية التي تصدر في الاستانة بنقله الى اللغة التركية ونشرته تباعاً في اعدادها لسنة ١٨٩٣ وما بعدها على ان تنشره بعد ذلك في كتاب على حدة

وموضوع هذا الكتاب البحث التحليلي في كيف نشأت اللغة العربية وتكونت باعتبار انها اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام . ومدار البحث على خمس قضايا ونتيجة وهي :

القضية الاولى : ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد

القضية الثانية: ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها (كحروف الجر والعطف وأحرف الزيادة ونحوها) انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها
 القضية الثالثة: ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية آحادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية

القضية الرابعة: ان جميع الالفاظ المطلقة كالضمائر وأسماء الاشارة ونحوها قابلة للرد بالاستقراء الى لفظ واحد او بضعة الفاظ

القضية الخامسة: ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع أصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهه في الصور الذهنية
 النتيجة: ان لغتنا مؤلفة أصلاً من اصول قليلة آحادية المقطع معظمها مأخوذة عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

والكلام في ذلك كله مؤيد بالنواميس الطبيعية ومسند الى عوامل لا تزال عاملة في لغتنا الى هذا اليوم

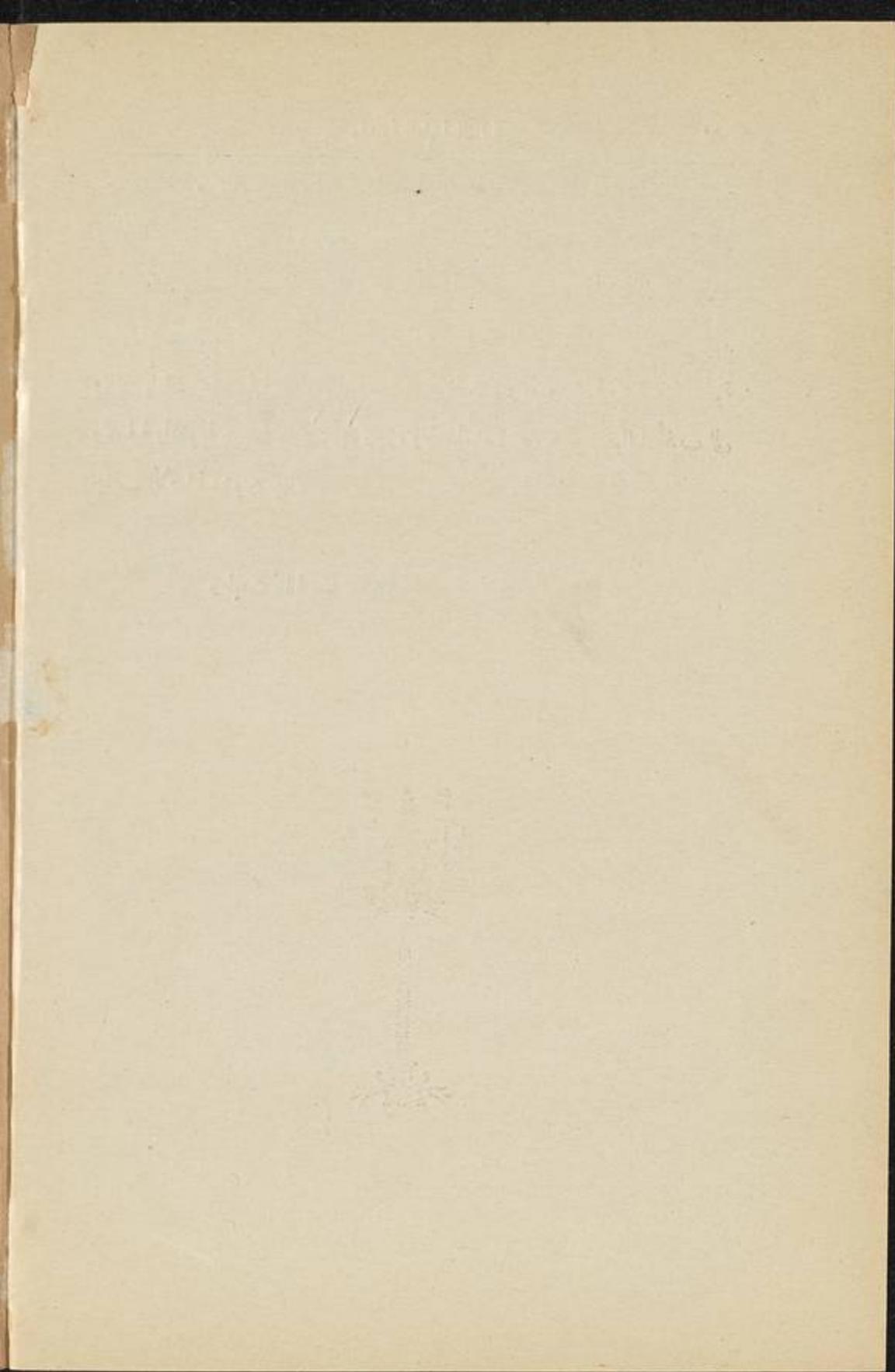
وقد أدخلنا في هذه الطبعة تحسينات ذات بال خطرت لنا بعد ظهور الطبعة الاولى . وأضفنا اليها فصولاً كاملة في أصل الكتابة والطريقة الطبيعية لاختراعها وأصل الخطوط المعروفة الان في أقطار العالم المتمدن وفصلاً في كيف تعلم الانسان العدّ وكيف توصل الى اختراع الارقام وأصل الارقام الهندية وكيف تنقلت في العالم

والبحث في فلسفة اللغة لا يزال جديداً عندنا يحتاج الى تمحيص وانتقاد فتقدم الى أرباب الاقلام ان ينتقدوه ونستلفت انتباه أئمة اللغة الى النظر فيه والتوسع في موضوعه للاتفايح بنتائج أبحاثهم وثمار قرائحهم
 ومنشفع هذا الكتاب بكتاب آخر في تاريخ اللغة العربية باعتبار انما كلن

حي نام خاضع لناموس الارتقاء العام تقصر الكلام فيه على ما لحق اللغة من التنوع والتفرع والنمو والارتقاء في الفاظها وتراكيبها بعد ان تم تكوينها وصارت ذات قواعد وروابط . ينطوي تحت ذلك النظر في ما دخل هذه اللغة من الالفاظ الاعجمية والتراكيب الغريبة على اختلاف العصور من الجاهلي فالاسلامي الى هذا اليوم ونأتي بأمثلة مما دخلها او تولد فيها من الالفاظ الادارية والعلمية والفلسفية الطبية والدينية واللغوية على اختلاف أدوارها . والله المستعان ان يجعل أقوالنا أقرب الى جانب الاصابة وهو حسبنا

وطبعت نالئة سنة ١٩٢٣





اللغة

اللغة أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وقد تعددت أنواع الاصوات وطرق التعبير بتعدد الامم واختلاف أصواتها فنشأ عن ذلك لغاتٌ تفوق الآلاف عدداً متفاوتةً بياناً ومتباينةً دلالةً ولفظاً فان من الاصوات ما هو عاديٌّ عند هذه الامة وشاقٌ التلفظ به عند تلك مما يلاحظه كلٌ منا في من حاول دراسة اللغة العربية من أبناء المغرب فقد قلَّ بينهم من استطاع بعد العناية الشديدة لفظ الحاء او العين او الغين او الضاد او ما شا كل وكثيراً ما يعاني أحدنا في لفظ F او X اليونانيين او V او P الرومانيين . ومن القبائل القاطنة او اسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية « ف ب م و . . . » في لغتهم . وبعض هنود كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع « ب ف ج د ب و » واكثر أهالي اوستراليا لا يستعملون المقاطع الصفيرية « س ز ش ث ص ظ » والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف « ب س د ف ح ج ل ق ص وي » واللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » خالية من هذه المقاطع « ب ج د ز ط ض » وجملة القول ان هذه الاختلافات آثارٌ تشير الى ما هي عليه اللغة من التعرُّض للمؤثرات الخارجية التي طالما غيرت ولم تزل تغير في سائر أحوالنا عملاً بناموس الارتقاء العام . وهذا التباين اللفظي يشاهد

بين أفراد الامة الواحدة المتكلمين بلغة واحدة لعة طبيعية في
أعضاء النطق

فيظهر مما تقدم ان الاحرف « ت م ن ه » مما يسهل لفظه على
كل ناطق بدليل وجودها في جميع اللغات على اختلاف انواعها (الا الهاء
في اليونانية) . على ان النظر في طريقة التلفظ بها يبين كونها طبيعية
فان الهاء لا تكلف في لفظها مطلقاً لانها تحدث بواسطة الزفير
الاعتيادي والفم مفتوح . والتاء بايقاف الزفير بالصاق اللسان بما وراء
القواطع . أما الميم فيأخرج الصوت من الانف والفم مجوف والشفتان
مطبقتان . والنون تلفظ كاليم بالصاق اللسان بسقف الحلق وفتح الفم
أما التفاوت الحاصل في دلالة هذه الاصوات ومركباتها فقد
نشأ عنه تكاثر اللغات وتعدد اللهجات فحسبوا منها آلافاً ولم ينتهوا
الى جميعها غير ان فيلولوجي هذا العصر قسموها باعتبار درجات
تهذيبها الى « مرتقية » و « غير مرتقية » وهذه الاخيرة تتضمن ادنى
اللغات بياناً وأبسطها ألفاظاً منها اللغات الزنجية التي يتفاهم بها قاطنو
جنوبي افريقيا . والاميركانية التي يتكلم بها هنود اميركا . والشمالية
الشرقية الاسيوية وهي لغات القاطنين في جزيرة سغالين وشبه جزيرة
كشتكا وما جاورهما . والصينية وهي لغات الصين ومن أهم صفاتها
ان ألفاظها أحادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف .
فاللفظة الواحدة تكون فعلاً او اسماً او نعتاً باضافة ألفاظ أخرى
ذات معان مستقلة اليها . والحامية ومنها المصرية القديمة والحبشية

القديمة والبربرية . وقد عدَّ بعض اللغويين المصرية من اللغات الشرقية لانها تقرب منها في بعض احوالها وقال آخرون لا بل هي أمها وقد دُعيت بالحامية لاعتماد ان المتكلمين بها من نسل حام بن نوح أما المرتقية فتمتاز بسعة نطاقها واحتوائها على اكثر ما يحتاج اليه الانسان من انواع التعبير ومنها لغات العالم المتمدن وتُقسم باعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق الى « متصرفة » و « غير متصرفة » وهذه الاخيرة تشتمل على اللغات الطورانية ومنها الفروع التركية ويتفاهم بها القاطنون بين آخر حدود النمسا الشرقية واسيا الصغرى فالتتر الى ما وراء أواسط آسيا وشمالاً الى الحدود الشمالية لسيريا . ومنها أيضاً اللغات المنغولية والتنقاسية والاوغرافية

ومن أهم صفات اللغات المرتقية « غير المتصرفة » انها مؤلفة من أصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً وان الاشتقاق يقوم فيها بالحاق أدوات لا معنى لها في نفسها في آخر تلك الاصول وهذه تبقى بدون تغيير . مثال ذلك لنا في التركية « ياز » وهو الاصل الدال على الكتابة فيصيغون منه فعلاً ماضياً بالحاق « دي » في آخره فيقولون « يازدي » كتب ثم اذا أرادوا الماضي السابق يضيفون « دي » أخرى فيقولون « يازديدي » أي كان قد كتب . واذا أرادوا الجمع أضافوا أدواته « لر » فقالوا « يازديديلر » كانوا قد كتبوا ثم اذا أرادوا النفي أدخلوا أدواته بين الاصل وما أضيف اليه فقالوا « يازمديديلر » أي ما كانوا قد كتبوا . وهكذا بين طلب وتمن

واستفهامٍ بحيث تبلغ هذه الاخلاقات العشرة عدداً مع بقاء الاصل
الفعلي على بنائه في اول اللفظ
واللغات المتصرفة تمتاز بقبول اصولها التصريف الحاقاً وادراجاً
وتقسم الى طائفتين عظيمتين :

(١) الطائفة الآرية : او الهندية الاوربية وتدعى أيضاً « اليافضية »
نسبة الى يافث بن نوح وتسم الى « جنوية » وهي لغات جنوبي آسيا
منها السنسكريتية وفروعها الهندية . والفارسية والافغانية والكردية
والبخارية والارمنية والاوزية . و « شمالية » ومنها لغات اوربا
وتقسم هذه الى قلتية ومنها اللغات المستعملة في جزائر بريطانيا الا
انكلترا . وايطالية ومنها اللاتينية وفروعها لغات فرنسا وايطاليا
واسبانيا والپورتغال . وهيلينية ومنها اليوناني القديم والحديث .
ووندية ومنها لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا . وتيوتونية وتتضمن
لغات انكلترا وجرمانيا وهولندا والدنمارك وايسلاندا

ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية انها مؤلفة من اصول قابلة
التصريف ادراجاً وان الاشتقاق فيها يقوم باضافة أدوات معظمها
ذات معنى في نفسها وهذه الادوات تلحق غالباً في آخر الاصل
وأحياناً في اوله مثال ذلك في الانكليزية « thank » شكرٌ منها
« thankful » متشكر او شكور او كثير الشكر ثم « unthankful »
غير متشكر او غير شاكر ثم « unthankfulness » عدم تشكر او عدم
شكر . ومثلها « capable » كافٍ او قادر و « incapable » غير كافٍ

او غير قادر « incapability » عدم كفاءة . وهكذا في سائر التصاريح وعليه تجري سائر اللغات الآرية

(٢) الطائفة السامية : نسبة الى سام بن نوح واطارة الى كون القسم الاعظم من المتكلمين بهام من نسله وتتضمن ما يسمى أحياناً باللغات الشرقية . وهي بوجود اللغة العربية بينها تعد من أرقى اللغات بياناً وأوسعها نطاقاً وأغناها الفاظاً وأدقها تعبيراً وتمتاز بكونها الحافظة لاقدم التواريخ أعني التوراة مكتوبة بالعبرانية . ومن المعلوم ان التمدن نشأ اولاً بين المتكلمين بها كالبابليين والاشوريين والفينيقيين وغيرهم . وهي تقسم الى ثلاثة اقسام

﴿ الاول ﴾ الآرامية : وفرعها السريانية والكلدانية . فالآرامية هي لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشاً على بقايا بابل واشور بالاحرف الاسفينية والانبارية . والكلدانية هي هذه بعد ان لعبت بها ايدي الزمن فغيرت بعض ألفاظها . وقد كتب بها بعض اسفار العهد القديم كسفر دانيال وغيره وقد دُعيت هناك بالآرامية تساهلاً على ما أرى لان بينها وبين الآرامية الاصلية فرقاً واضحاً لفظاً ومعنى . ولغة اشور أبعد عن هذه من لغة بابل . أما ما يدعى بين السريانيين في هذه الايام باللغة الكلدانية ليس الا السريانية نفسها مع بعض التغيير في الحركات . والسريانية هي الكلدانية المشار اليها مع تغيير في الفاظها ودلالاتها تبعاً لما اقتضته الاحوال فكان اللغة البابلية القديمة دُعيت في اول امرها آرامية ثم تغيرت قليلاً فدُعيت كلدانية

ثم وقع فيها تغيير آخر فدُعيت سريانية وحصل في هذه بعض التنوع في حركاتها فحسبت لغتين سريانية غربية وسريانية شرقية وقد حفظت اللغة الآرامية الاصلية بعض التواريخ القديمة منقوشة على بقايا بابل واشور . والسريانية حفظت الكتاب المقدس الذي تُرجم اليها في الجيل الثاني بعد المسيح وتعرف هذه الترجمة بالترجمة البسيطة

﴿ الثاني ﴾ العبرانية : قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الاشارة وبكون الناطقين بها هم أوضح الامم منشأ . واللغة التي يتكلم بها الاسرائيليون اليوم ليست العبرانية صرفاً بل خالطها بعض الالفاظ الآرامية او الكلدانية اثناء أسره عند البابليين . ومحورُ جميع ما أُلّف في هذه اللغة انما هو العهد القديم ويتفرّع عنها الفينيقية والقرطاجنية وكتاتهما مائتان

﴿ الثالث ﴾ العربية : وهي اسمى اللغات السامية ومعرفتها ضرورية لاتقان اخواتها . وقد كانت محصورة في شبه جزيرة العرب فلما ظهر الاسلام اخذت في الانتشار الى ان ملأت الخلفين بسبب الفتوح الاسلامية المشهورة فامتدت من الشرق الى الغرب بين اواسط الهند وبوغاز جبل طارق ومن الشمال الى الجنوب بين البحر الاسود وبحر العرب . وبالجملة يقال انها عمت معظم العالم المتمدن في ذلك الحين . والحروف العربية المستعملة عند الاعاجم منهم كالترك والفرس والهنود وغيرهم من جملة الآثار الشاهدة على ذلك . ويتفرّع

« اختلطوا بالكوشيين في الجنوب والله أعلم »
وأوضح صفات اللغات السامية أنها مؤلفة من أصول ثلاثية
الاحرف ثابتة في الاشتقاق أي انه لا يؤثر على أحرفها بل هو يقوم
فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة مثاله في العربية
« قتل » وهو أصل يتضمن معنى القتل فبتغيير الحركات فيه تشتق
عدة أفعال او أسماء او نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير فنه « قتل »
فعلٌ ماضٍ معلوم و « قُتل » فعلٌ ماضٍ مجهول و « قَتَلَ » مصدر
و « قِتلٌ » بمعنى العدو والمقاتل و « قُتِلَ » جمع قتل . وقد تُمدُّ
احدى هذه الحركات فيقال « قَاتِلٌ » و « قَاتَلٌ » و « قَتِيلٌ » و « قَتُولٌ »
و « قِتَالٌ » و « قِتَالٌ » و « قَتَلِيٌّ » الخ . أما قابليتها للاشتقاق على
طريق اللاحق فتشارك الطائفة الآرية فيها لكنها تمتاز بحصول معظم
الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وبأنها لا تقبل الادوات الملحقه اذا
كانت ذات معنى في نفسها

على ان هذا التقسيم لا يدل بنفسه على وحدة أصل تلك اللغات
دلالة صريحة نظراً لما طرأ عليها من التغيير بعد تفرعها ولكن
الاستقراء والمقابلة يوضحان ذلك فان لغات الطائفة السامية ترجع الى
ثلاثة أصول الآرامية والعبرانية والعربية وهذه لا شبهة بأنها ترجع
كلها الى أصل واحد يسميه علماء اللغات اللغة السامية ونظنه اللغة
الاشورية او البابلية . والطائفة الآرية ترجع الى ثلاثة أصول أيضاً
وهي اللتان اللاتينية واليونانية واللغة السنسكريتية (الهندية القديمة)

فمن اللاتينية تفرع معظم لغات اوروبا ومن اليونانية تفرع بعض
 آخر وتفرع ما بقي من السنسكريتية . وترجع هذه اللغات الثلاث
 الى أصل واحد أو هي لغة واحدة مفقودة يسمونها اللغة الآرية
 وتشارك هاتان الطائفتان كما قدمنا بقابلية الفاظهما للتصريف
 الحاقاً وادراجاً وتشاركان اللغات غير المتصرفة بارتقائها ووجود
 الادوات والاشتقاق فيها . وأما اللغات غير المرتقية فالبعد بينها وبين
 اللغات المرتقية اكثر من ذلك كثيراً على ان البحث والمقابلة يبينان
 القرابة بينها كلها وتمهيداً لذلك نقول :

اصل اللغات

المراد بتقسيم اللغات على هذه الصورة انما هو تقسيم الامم التي
 تتكلم بها فالمراد بقولنا انها تقسم الى الطورانية والآرية والسامية ان
 الامم التي تتكلم اللغات الطورانية الآن ترجع الى اصل واحد وان
 الامم التي تتكلم اللغات الآرية ترجع الى اصل واحد وهكذا الطوائف
 الاخرى . فالامم التي تتكلم اللغات الآرية ترجع الى اصل واحد
 وهكذا الطوائف الاخرى . فالامم التي تتكلم اللغات الآرية مثلاً
 بعضها في اوروبا وبعضها في الهند والفرس . فهما تباعدت المسافة
 بينها واختلفت عوائدها وأخلاقها اليوم فلا ريب انها كانت في أقدم
 ازمنة التاريخ أمة واحدة او عائلة واحدة عائشة في بقعة واحدة ثم

قضت الاحوال بتفرقها فالتقسمت قسمين قسماً جنوبياً وقسماً شمالياً
فسكن الجنوبي اواسط اسيا والشمالى نوح الى اوروباثم انقسم كل من
هذين القسمين الى اقسام بعد ازمان متفاوتة . وهكذا ايضاً اللغات
السامية فقد كان أهلها في أول ازمانهم يقطنون ما بين النهرين وهم
الاشوريون او اجدادهم وكانوا يتكلمون لغة واحدة لعلمها الاشورية
ثم قضت الاحوال فهاجر بعضهم إما التماساً للرزق او فراراً من الحرب
الى جزيرة العرب وأقاموا فيها وبتوالي الازمان تنوعت لغتهم الاصلية
تبعاً لناموس الارتقاء فتولدت اللغة العربية والامة العربية ثم هاجرت
طائفة اخرى وأقامت في شمالي جزيرة العرب وتنوعت لغتها حتى
صارت مستقلة وعرفت باللغة العبرانية ولعل ابراهيم الخليل أول
المهاجرين . تلك الفروع وفي اثناء تنوع كانت الام الاصلية بين
النهرين تتنوع ايضاً لانها كلها خاضعة لناموس واحد . وقس على
ذلك فروع كل من هذه اللغات فان العبرانية بعد ان صارت مستقلة
وأقدمها لغة فينيقية نزلت فنة من اهلها غرباً وأقاموا في قرطجنة
فتنوعت لغتهم حتى استقلت وعرفت باللغة القرطجنية وهكذا يقال
في سائر التفرعات . فاللغة القرطجنية أقرب بألفاظها وأنواع تركيبها
الى أختها الفينيقية مما الى خالتها العربية او الى جدتها الاشورية
ولكنها أقرب الى هذه مما الى اللغات الآرية على انها أقرب الى الآرية
مما الى الطورانية وهي أقرب الى هذه مما الى اللغات الصينية فالفرق
يزيد كلما بعدت المسافة بين الامة وزعم تفرعها عن أمها

ثم اذا اعتبرنا مراتب اللغة في نموها وقابلنا حال اللغات الحالية
 بها تتضح لنا كيفية تفرع اللغات وأزمنة تفرعها
 المشهور ان الانسان نشأ الاول على ضفاف الفرات ودجلة بين
 العراق وارمينيا فيما وتكاثر ومن نسله تفرقت الامم في الارض
 ولكنها لم تفرق دفعة واحدة بل كانت كلما ضاقت تلك البقعة عن
 القيام بمعاشهم هاجرت فئة منهم الى جهة من الجهات . وقد ذكرت
 التوراة اكبر مهاجرة نشأ عنها تعدد اللغات سمتها حكاية تبلبل
 اللسان وذكرت في مكان آخر تفرق الامم في الارض ولكنها لم
 تذكر الا الامم التي تشعبت من نسل نوح فقط بعد الطوفان وأغضت
 عن الامم التي نشأت قبل زمن الطوفان فإين نسل قايين وفروعه وأين
 الامم الاخرى التي كانت قبل الطوفان غير الذين كانوا بين النهرين
 وأغرقهم الطوفان فلا ريب ان المدة بين وجود الانسان الاول
 والطوفان كانت طويلة نشأ في اثناها امم كثيرة تشعبت وتفرعت
 وهاجرت فعمرت قسماً كبيراً من الارض

فالظاهر ان المتكلمين باللغات غير المرتقية أقدم من نوح من بين
 النهرين كالصينيين والمصريين الاصليين فسارت فرقة شرقاً والاخرى
 غرباً . والتاريخ يساعدنا في تأييد ذلك لان هاتين الامتين من اقدم
 امم الارض ان لم تكونا أقدمها كلها ولغاتها أبسط اللغات لانهما
 تفرعتا قبل زمن الطوفان واللغة لا تزال في اول ادوارها أي قبل تولد
 الادوات وحصول التمييز بين الفعل والاسم والحرف وربما كان

الصينيون من نسل قايين والتوراة تصف نسل قايين بالمهارة في الصناعة
والموسيقى والصينيون اقدم ارباب الصنائع على اختلاف أجناسها وأمهر
الناس في اتقانها

ونرى بين لفظي (صين) و (قايين) مشابهة حتى يصح القول
انهما واحد لان القاف والصاد كثيراً ما تتبادلان والحرف (c) في
اللغات الافرنجية ينطق تارة قافاً (او كافاً) وطوراً صاداً (اوسيناً)
ومثل ذلك اختلاف لفظ الجيم العربية بين مصر والشام ولفظ الكاف
بين بعض قبائل العرب فان بعضهم يلفظها كافاً وبعضهم شيناً وبعضهم
سيناً . وترى ايضاً مشابهة بين لفظ قايين واسم مصر فقد كان اسمها
(كيم) او (كيمي) والمبادلة بين الميم والنون مشهورة ولا عبرة
بالحركات ولذلك بحث لا محل للكلام عليه وانما يهمننا منه ان الامم
التي تتكلم اللغات غير المرتقية عمرت الارض قبل زمن الطوفان . ثم
هاجر اجداد الامم التي تتكلم اللغات الطورانية فسكنوا شمالي آسيا
ومنهم المغول والتتر وغيرهما . ثم نزع الآريون فاقلموا زمناً معاً ثم
تفرقوا في جهات الهند وفارس وكرديستان واوروبا . ثم الساميون وما
تفرع عنهم كما قدمنا . وكانت اللغة اذا انفصلت عن أمها اخذت
تنمو بنفسها وأمها تنمو ايضاً وتسير كل منها تبعاً لحوال المتكلمين
بها وبثأتهم فلا يمضي زمن حتى يتباعد كل منهما عن الاخرى ولكن
المقابلة والتدقيق يبينان ما بين هذه اللغات المتباعدة من المشابهة الدالة
على وحدة اصلها . وتتفاوت هذه المشابهة بين اللغات بتفاوت ازمان

انفصالها بعضها عن بعض فان المشابهة بين الفاظ العربية والعبرانية وطرق التعبير والاشتقاق فيها ظاهرة جلية وهكذا بين اللغات الاوربية المتفرعة عن اللاتينية لان كلاً من هذه اللغات تفرعت عن أمها بعد ان نمت فيها انواع التعبير والاشتقاق فبقيت المشابهة ظاهرة فيها . وأما المشابهة بين العربية واللاتينية فأبعد لانهما اختلفتا قبل تمام ذلك النمو ونمت كل منهما على حدة وعلى أسلوب مخالف لاسلوب الاخرى فبعدت الشبهة ولهذا السبب ايضاً كانت المشابهة بين العربية والصينية أبعد من ذلك كثيراً لان الصينيين انفصلوا عن الامة الاصلية قبل الساميين بدهور متطاولة واللغة في أبسط احوالها

على اننا مع كل ذلك لانحرم دليلاً على المشابهة من بعض الوجوه اذا التمسناها من حيث نرجو العثور عليها اذ لا يليق بنا ان نبحث عن المشابهة في صيغ اشتقاق الفعل بين اللغات الآرية والسامية ولا تركيب الجمل بين اللغة الصينية والعربية بل نبحث عن اقدم مواد اللغة في كل من أصول هذه اللغات وننظر في أوجه المشابهة بينها والغالب ان نعثر على صالتنا

فمن اقدم الفاظ اللغة الضمائر والاعداد وأسماء ضروريات الحياة كالطعام والشراب والمأوى والملبس وما يتعلق بذلك :

(١) الضمائر

فالضمائر ترجع الى ثلاثة المتكلم والمخاطب والغائب وكل من هذه يتصرف مع علامات الجمع والتأنيث وغيرها فاذا جردناها من

تلك العلامات ومن النون التي تلحق بها في بعض اللغات ظهرت المشابهة بينها كلها . فضمير المتكلم مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف فهو في العربية الياء او الحاء وتظهر في الجمع (نحن) وكذلك في السريانية و « انكي » تلفظ « انوخي » في العبرانية و anok او a في المصرية القديمة و (انكو) او (يا) او (أ) في الاشورية و ego في اللاتينية و ego او egon في اليونانية و aha او ahom في السنسكريتية و i في الانكليزية و ich في الجرمانية و nga او ga او a في الصينية و na في المغولية

أما ضمير المخاطب اذا تجرد من مميزات الجنس والعدد فهو حرف التاء في سائر اللغات ففي العربية واخواتها التاء في انت وفي اللاتينية tu وفي اليونانية su (والتاء والسين تتبادلان) . وفي الفرنسية tu واخواتها وفي الانكليزية thou وفي الجرمانية tu او du وفي السنسكريتية tua وفي الفارسية (تو) . ومثل ذلك في ما بقي من اللغات الشرقية والمصرية ففي الاشورية (أتأ) وفي الكلدانية (انت) وفي المصرية القديمة entuk وفي القبطية ntok وفي الصينية two وفي المغولية ta . أما الغائب فالاصل فيه الهاء في اللغات الشرقية وما يقابلها في اللغات الاخرى ففي اليونانية i وما يركب منها وفي اللغات الجرمانية hua ومشقاتها وفي الفارسية « وي » وفي الصينية soh والسين زائدة . وسيأتي تفصيل ذلك في باب الضمائر من هذا الكتاب

(٢) الاعداد

يظهر ان الاعداد احدث عهداً في اللغة من الضمائر فالمشابهة
بينها ابعدها مما بين الضمائر

فلفظ (واحد) يظهر انه تولد في اللغات السامية بعد استقلالها
عن الآرية أو لعله كان في الآرية ثم فقد الاثراً منه باقية في
اليونانية . فان الاصل في لفظ واحد العربي (حد) كما هو في اللغات
السامية الاخرى ومن تصاريف الواحد في اليونانية *heis* وعلى كل حال
فان اللفظ الدال على الواحد في اللغات الآرية يرجع الى الواو والنون
فهو في اللاتينية *unus* وفي اليونانية *en* ونحو ذلك في اللغات الآرية
الاخرى . أما في اللغات الشرقية فبقي هذا اللفظ محفوظاً في (أول)
العربية والاصل فيه الواو واللام (واللام والنون تتبادلان)

و (الاثنان) الاصل فيها التاء وما يبدل منها كالثاء والسين والدال
فهي في اليونانية *duo* واللاتينية *duo* وفي الانكليزية *two* ونحو ذلك
في سائر اللغات الجرمانية أما الالف والنون في العربية فزائدتان
علامة للتثنية

و (الثلاثة) الاصل فيها بالعربية (ثلث) وهي كذلك في سائر
اللغات السامية ونحو ذلك في اللغات الآرية ففي اللاتينية *tres* وفي
اليونانية *treis* والتبادل بين اللام والراء وبين السين والتاء كثير
و (الاربعة) يعسر الجمع فيها بين اللغات السامية والآرية وكذلك
(الخمسة) اما (الستة) فالاصل فيها (ست) ففي العبرانية شش وفي

اللاتينية sex وفي اليونانية ex وفي السنسكريتية شش وفي السلافونية شست والمشابهة واضحة

و (السبعة) أصلها سبع وهي في اللاتينية septem وفي اليونانية Epto وفي الفارسية (هفت) وفي السنسكريتية (سبتا) فالظاهر ان الاصل فيها (سب) والعين دخيلة في اللغات السامية والتاء دخيلة في اللغات الآرية

وأما ما وراء السبعة فلا سبيل الى تطبيقه فالظاهر ان الطائفتين الآرية والسامية انفصلتا قبل تولد ما بعد السبعة. وهناك امم متوحشة لا تزال الى اليوم ليس في لغتها من الاعداد ما بعد الخمسة

وقد رأيت فيما تقدم ان الاعداد لم تتشابه الا بين الطائفتين الآرية والسامية لان اللغات غير المرتقية انفصلت عن اصلها قبل تولد الاعداد بعبارة أخرى ان اجداد الصينيين والمغول نزحوا من بين النهرين قبل أن تتولد الاعداد في لغة اهله فتولدت الاعداد عندهم مستقلة فجاءت بعيدة عن تلك فالاثنان في الصينية (شونغ) والثلاثة (سام) والاربعة (سى) والخمسة (نجو) والستة (لوك) الخ

(٣) اسماء ضروريات الحياة

نريد بضروريات الحياة اقدم لوازم المعيشة فالانسان أول عهده بالتكلم وضع اسماء لما احتاج للدلالة عليه ليسد عوزه التماساً للبقاء وقد كان ذلك قبل تولد الضمائر والاعداد فيجب ان تكون المشابهة بينها في سائر اللغات ظاهرة ولكن لا يخفى على المطالع اللبيب ان اللغة في

في نمو دائم فتتولد فيها الفاظ جديدة وتدر الفاظ قديمة وان التغيير متواصل في الفاظها نحتاً وابدالاً وقلباً . واكثر الالفاظ تداولاً على الالسنه اكثرها تعرضاً للتغيير وأسماء ضروريات الحياة أقدم الالفاظ واكثرها تداولاً على الالسنه فلا ينتظر ان نرى أمثلة كثيرة من المتشابهات ولا يتفق لنا ان نرى الفاظاً تتشابه في سائر اللغات المرتقيه وغير المرتقيه معاً فربما تشابه لفظ في الطائفتين الساميه والآريه وآخر في احدهما والصينيه وآخر فيها جميعاً . وهالك أمثلة مما يتشابه في كل اللغات او في بعضها

(١) الام : فان لفظها واحد في سائر لغات العالم لانه أول ما نطق به الانسان وأقدم ما تعلمه . فهو mater في اللاتينية و mitir في اليونانية و matri في السنسكريتية ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية والاصل فيها كلها الميم لانهم يدلون على الام أيضاً بقولهم mama وهكذا في اللغات الاخرى . ففي العربية واخواتها (أم) وفي لغة تيبه بين الهند والصين (يم) وفي الصينيه (مو) وفي القبطيه (ماو)

(٢) الاب : فهو في اللغات الآرية pater وما يشبهها والاصل فيها الباء وفي اللغات الساميه (أب) وفي الصينيه (بو) او (فو) وفي التركيه (بابا)

(٣) الاكل : في اليونانية edein وفي اللاتينية edere والاصل

فيها ed وفي السنسكريتية ad وفي المغولية (ايدهو) وفي الصينية (وِت) او (وِد) وفي العربية (قات) او (قوت) وفي القاموس اط الرجل جاع وطلب الطعام

(٤) العطاء : فهي في اللاتينية (do) ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية والاصل فيها الدال او التاء وفي العربية (أَدَى) او أعطى والعين دخيلة وفي المصرية القديمة (طا)

(٥) القطع : وهو متخلف عن (قط) حكاية صوت القطع وعاماً في سائر لغات العالم . ففي اللاتينية coedo وفي الانكليزية cut وفي الفرنسية casser ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية . وفي الصينية (كت) وبالمصرية القديمة (خت) وفي العربية قط او قص او قطع . ومن هذا القبيل اكثر الافعال المتخلفة عن حكاية الاصوات الطبيعية مثل طفاً ونفخ وغيرهما كما سيأتي في الكلام على تولد اللغة

(٦) الكون : وهو الفعل الدال على الوجود في اللاتينية esse وفي السنسكريتية as ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية . وفي العبرانية (يش) وفي السريانية (يت) وفي العربية (ايس) ولا توجد الا مركبة مع (لا) في (ليس) ومعناها نفي الوجود

(٧) الرجل : فهو في اللاتينية vir وفي اليونانية anir وفي الاسبانية hombre ونحو ذلك في معظم اللغات الآرية وفي العربية (مرء) وفي المغولية ere

(٨) حرف النفي : فانه واحد في سائر لغات الارض في اللغات السامية (لا) وفي الآرية (no) او احد تنوعاتها وفي اللغات الطورانية (ال) او (نه) او (ما) وفي اليابانية (نا) وفي الصينية (مو) والنسبة اللفظية بين اللام والميم والنون معلومة هذه أمثلة مما تتشابه أصوله في معظم لغات العالم أما ما يتشابه في بعضها فهو كثير لا يمكننا استيفاءه هنا . من أمثلة ذلك تشابه (كهف) العربية و cavo اللاتينية . و (ارض او ثرى) و earth الانكليزية و terre الفرنسية و (اله) العربية و (لها) في لغة تيببت و (الماء) في العربية و (ما) في المصرية القديمة و (مو) في الصينية و قس على ذلك

ما هي اللغة العربية حقيقة

هي احدى اللغات السامية وأرقاها مبنى ومعنى واشتقاقاً وتركيباً ومن هي أرقى لغات العالم . فقد تقدم ان اللغات على اختلاف انواعها تقسم الى مرتقية وغير مرتقية وان هذه تقسم الى متصرفه وغير متصرفه وان هذه تقسم الى ثلاث طوائف كبرى (١) الآرية (٢) الطورانية (٣) السامية وفيها اللغات العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والقرطاجنية والاشورية والبابلية وغيرها . وأرقى اللغات السامية اللغة العربية

والمراد باللغات السامية اللغات التي تكلم بها نسل سام بن نوح وقد اختلف اللغويون في كيفية تفرعها بعضها من بعض والظاهر ان اللغات السامية الرئيسية الحية الى الآن وهي السريانية والebraية والعربية لم تشتق احداها من الاخرى ولكنها فروع لأصل قد طوته يد الايام وهو لغة قدماء الساميين الذين سكنوا ما بين النهرين وقد دعاها علماء اللغة باللغة الآرامية نسبة الى آرام أحد ابناء سام وهي لغة سكان ما بين النهرين وربما كانوا المبر عنهم في التوراة بسكان ارض شنعار الذين عمروا ما بين النهرين بعد الطوفان . والظاهر ان سكان ارض شنعار لما قضت الاحوال بتشتيت شملهم وتبعثرهم في جهات آسيا جعلت لغاتهم تتنوع شيئاً فشيئاً بعد تشتتهم كل قوم حسب يدياتهم وطرق معاشهم فسكن بعضهم سواحل سوريا وتنوعت لغتهم وعرفت باللغة الفينيقية ومنها اللغة العبرانية وسكن آخرون العراق العربي وحدث عن تنوع لغتهم اللغة الاشورية ومنها اللغة الكلدانية والسريانية وآخرون قطنوا شبه جزيرة العرب وتنوعت لغتهم وتولد عنها اللغة العربية بفروعها ومنها لغة الحبشة ولغة حمير وعدنان ومنها لغة قریش التي كتب فيها القرآن وهي التي يكتب بها المتكلمون بالعربية الى هذه الغاية

وتنوع اللغات السامية المتقدم ذكرها لم يتم دفعة واحدة بل كان تدريجاً على مقتضيات ناهوس الارتقاء الجاري في الطبيعة . فقد بقيت تلك اللغات في اول ازمان تشتت الشعب السامي زمناً غير قليل

متشابهة تشابهاً كثيراً كما هو الحال في المتكلمين في اللغة العربية بعد انتشار الاسلام فان كلاً من الشعوب العربية الآن في مصر وسوريا وبلاد المغرب وغيرهم يتكلمون العربية ولكن كل شعب منهم تختلف لغته عن لغات الآخرين اختلافاً قليلاً او كثيراً بنسبة البعد بينهم والاختلاف في احوالهم ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنساوي والاسبانيولي والايثالياني وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها في ما يكتبونه ويخطبون فيه جعل في لغاتهم المولدة مرجعاً يجمع لغاتهم الى أصل واحد كما لا يخفى

أما في الازمان الغابرة يوم تشتت نسل سام في العالم فلم يكن عندهم لغة مدونة يرجعون اليها ولا كان بينهم رابطة يجتمعون بها لاعراقهم في الجاهلية فكانت العوامل الطبيعية تؤثر في تنوع لغاتهم اكثر كثيراً مما تفعله اليوم فاصبحت على توالي الاجيال لغات مستقل بعضها عن بعض كل الاستقلال . على ان الباحث في أصول تلك اللغات لا يعدم وسائل في ردها كلها الى أصل واحد لتشابه أصولها وقواعدها فاللغة العربية والسريانية تتشابه كثيراً في اشتقاقها وتصاريفها ومعاني الفاظها حتى لا تدع شبهة في وحدة أصلها ويستنتج مما نقرأه في أسفار العهد القديم ان تلك اللغات كانت كثيرة التشابه في الازمنة الاولى الى زمن خروج الاسرائيليين من

مصر وما بعده فإن الاسرائيليين قضوا اربعين سنة في بيرة سيناء
وجزيرة العرب وكانت لغتهم العبرانية ولكنهم عاشروا العرب وخالطوهم
وكانوا يتفاهمون بلا ترجمان . وهناك حوادث كثيرة ذكرتها التوراة
تدل على تفاهم العرب والعبرانيين من جملة زيارته ملكة سبا وهي من
ملوك العرب لسليمان بن داود ملك اليهود في القرن العاشر قبل الميلاد
أي بعد زمن موسى بخمسة قرون فانها زارت الملك سليمان وتفاهما بغير
واسطة المترجمين . وكذلك تزوج اسمعيل وسكناه في بلاد العرب
وقيامه بينهم وما شا كل ذلك وكلها أدلة على ان فروع اللغات السامية
كانت الى ذلك العهد متشابهة كل التشابه اذ لم يكن قد مر عليها
الزمن الكافي لاستقلالها احداها عن الاخرى

أما بعد تلك الازمان فأخذ كل قسم منها يستقل بألفاظه
وتراكيبه ويتعد عن الآخر حتى صار لغة مستقلة شأن كل شيء من
أحوال هذا الكون

فاللغة العربية اذاً هي احدى اللغات السامية المتفرعة عن اللغة
السامية الاصلية المفقودة الآن ويسمى بعضها اللغة الآرامية كما قدمنا .
وفي اعتقادنا ان لغة أشور و بابل التي قد عثروا على آثارها منقوشة
بالاحرف الاسفينية او المسماة في آثار مملكة أشور أقرب اللغات
السامية الى اللغة الاصلية اذا لم تكن هي بقيتها ولعل مزاوله درس
تلك الآثار على توالي الايام وتجديد النقب والبحث يؤيد هذا الاعتقاد

كم هي العلوم اللغوية

أما اللغات على العموم فعلومها درجاتٌ متتاليات

﴿الاول﴾ يبحث عن الفاظ اللغة من حيث بنائها ومشتقاتها وتركيبها وإعرابها وأوجه استعمالها حقيقةً أو مجازاً لمقاصد في التعبير . وهذا ما تعلمه المدارس في أيامنا كالصرف والنحو والمعاني والبيان مما هو ضروري لكل كاتب

﴿الثاني﴾ يبحث عن تاريخ تلك الالفاظ وتنوعها ودلالاتها مع ما طرأ عليها من التغيير بتجريد بسيطها وحلّ مركبها وهذا ما ربما صحت تسميته « علم اللغة أو فلسفتها » وبموجبه ترد الفاظ كل لغة الى أصول أو موضوعات محصورة عدداً بسيطة بناءً

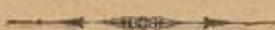
﴿الثالث﴾ مقابلة هذه الاصول من لغات مختلفة وردّها الى أصول قليلة مشتركة وهذا ما يدعى بعلم « مقابلة اللغات » وقد تمكن علماءها بواسطة من تقسيمها الى صفوف ورتب وعائلات . وهم ينتظرون الظفر يردّ جميع ما ينطق به البشر الى أصول قليلة

﴿الرابع﴾ وهو أسماها يبحث عن كيفية توصل الانسان الى هذه الاصول وكيف نطق بها اولاً

نمريد

اللغة مؤلفة من الالفاظ والالفاظ تقسم باعتبار الدلالة الى ذات دلالة مطلقة وندعوها تساهلاً « الفاظاً مطلقة » وهي التي تصح الدلالة

بواحدة منها على أي موجودٍ حسيّاً كان او معنوياً وتشتمل على الضمائر وأسماء الاشارة واسم الموصول وما شا كل . والى ذات دلالة مانعة وندعوها تساهلاً « الفاظاً مانعة » أي لا يمكن الدلالة بأحدها الا على قسم من الموجودات او على نوع واحد من المعنى . فبقولنا « حيوان » مثلاً نقصد بعض الموجودات وهكذا لو قلنا « مادّة » او « قوّة » اذ يخرج في الاولى جميع ظواهر القوّة كالانفعالات والعقليات وفي الثانية تخرج المادة وظواهرها . ولكن بقولنا « هذا » ربما نقصد الحيوان او المادّة او القوّة او المحبة او الحزن او الفرح أو ما شا كل . وتقول « أنت » لكل ما تخاطبه جماداً كان او حياً حسيّاً او معنوياً وهكذا في البواقي . والالفاظ المانعة تقسم الى « دالة على معنى في نفسها » وتنحصر في الفعل والاسم ومشتقاتها و « دالة على معنى في غيرها » وهي الحروف وما شابهها



موضوع هذا الكتاب

سنقتصر في هذا الكتاب على بعض الملاحظات التي تراءت لنا أثناء مطالعتنا بعض العلوم اللغوية وهي تتعلق بالدرجة الثانية من العلوم اللغوية أي « فلسفة اللغة » في العربية وربما أدخلنا بعض ما يتعلق بالدرجات الاخر تعزيزاً للبرهان

والموضوع يقوم بخمس قضايا ونتيجة . والقضايا هي :

(١) ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد

(٢) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا

الفاظ ذات معنى في نفسها

(٣) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها

بالاستقراء الى اصول ثنائية تحاكي أصواتاً طبيعية

(٤) ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ

واحد او بضعة الفاظ

(٥) ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع أصلاً

للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهه في الصور الذهنية

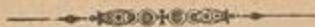
(النتيجة) ان لغتنا مؤلفة أصلاً من اصول محصورة عدداً

أحادية المقطع معظمها . أخذت عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها

عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

فمن الواجب اولاً اثبات القضايا المذكورة وهي مقدمات خمس

لعلنا نستطيع اثبات ما دعواناه نتيجة وبالله التوفيق



القضية الأولى

« ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد »

كثيراً ما أشار أئمة اللغة الى هذا النوع من الالفاظ وقد ارتأوا فيه مذاهب شتى لا حاجة لسردها في هذا المقام . أما الاستقراء والمقابلة فقد أثبتنا ان هذا التقارب لم يكن عبثاً بل هو دلالة قوية على ان هذه الالفاظ ليست الا تنوعات أصل واحد وان هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمي الاعتبار هما القلب والابدال

﴿ فالقلب ﴾ عبارة عن تقديم او تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه او تغيره تغيراً طفيفاً وهو أقل وروداً من الابدال . ومن أمثله قولهم بمعنى واحد . لَطَمَ وَلَطَطَ . وَذَبَحَ وَبَذَحَ . وَبَعَزَقَ وَزَعَبَقَ . وَبَلِهَقَ وَبَلِهَقَ (المرأة الحمراء جداً) . وَجَذَبَ وَجَبَذَ . وَرَفَأَ وَأَرْفَأَ . وَتَبَرَعَصَ وَتَبَرَعَصَ . بِمَعْنَى اضْطَرَبَ . وَعَفَلَطَ وَعَفَلَطَ (خلطاً) . وَمَلِجَ وَمَلِجَ . وَبَرَشَقَ اللَّحْمَ وَشَبَرَقَهُ وَشَبَرَقَهُ بِمَعْنَى قَطَعَهُ . وَسَكَبَ وَسَبَكَ . وَيُقَالُ بَشَغَتِ الْأَرْضُ وَبَغَشَتِ أَيَّيْ أَمْطَرَتْ قَلِيلًا . وَفَتَاهُ يُفْقَوهُ بِمَعْنَى فَتَاهُ يَتَفَوَّهُ . وَضَبَّ وَبَضَّ بِمَعْنَى سَالَ وَكَذَلِكَ صَبَّ وَبَصَّ . وَبَضَعَ وَعَضَبَ وَبَعَضَ جَمِيعًا بِمَعْنَى قَطَعَ . وَيُقَالُ بَضَعَ أَوْ بَعَضَ أَيَّامَ وَالْفَرْقُ بِالْمَقْدَارِ فَقَطَّ . وَالتَّطْبُ وَالْقَطْبُ الْجَمْعُ بِالْيَدِ . وَقَطَبَ الْوَجْهَ وَقَبَطَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَبَكَعَ وَكَبَعَ

بمعنى قطع . ويقال نضب الماء ونبض غار . ولعسَ ولسعَ تدلان على نوع واحد من المعنى وهكذا في ما بقي . هذا ولا يخفى ان كثيراً من الالفاظ المقلوبة تحسر معناها الاصلية بالاستعمال فلا يعود يمكننا الجزم بانها مقلوبة

أما سبب القلب فهو في الغالب الميل لتخفيف اللفظ أو للتفنن فيه ويحدث في الغالب اعتباطاً . ومثل ذلك كثير الحدوث بين عامتنا فان معظمهم يقولون « رعبون » في « عربون » . و « اجر » في « رجل » . وبعض أبناء اللغة يقولون « أطمي » بدلاً من « أعطى » . والسوريون ولا سيما البيروتيون يقولون « اجا » في « جاء » وكثيرون منهم لا يميزون بين « قعد » بمعنى جلس و « عقد » بمعنى ربط فيخلطون بينهما وقد قلَّ بينهم من يلفظ كلمة « زوج » على حقها فان معظمهم يقولون فيها « جوز » وهم يقولون « زقف » بمعنى « صفق »
فوقع في هذه اللفظة القلب والابدال معاً

أما * الابدال * في الفاظ اللغة فأعظم أهمية لانه أوسع دائرة وأشدُّ تأثيراً . وهو عبارة عن ابدال حرف من كلمة ما بحرف يقرب منه لفظاً . ويحصل الابدال غالباً بين الحروف التي هي من مخرج واحد او مخارج متقاربة

وتقسم الحروف باعتبار مخارجها الى حلقيية ولسانية وحلقية ولسانية سنانية وسنانية او صفيرية وشفوية . والابدال يحصل بين أحرف كل مخرج وبين مخارج مختلفة الاقرب فالاقرب . وهاك ترتيب

الحروف باعتبار قابليتها للابدال ع هـ ي ح خ غ ق ك . ل ر ن .
ض ط د ت . ج ش ث س ص ز ظ ذ . ف ب و م

وقد يقع الابدال بين الاحرف المتقاربة في حكاية أصواتها ولو كانت من مخارج متباينة كالتبادل الحاصل كثيراً بين الميم والنون لان السامع قد يخلط بينهما والعامّة قد أبدت ميم الجمع نوناً وهذه أبدلت ميماً في أماكن كثيرة . ومن هذا النوع التقارب الحاصل في حكاية أصوات الفاء والخاء والهاء كقولهم ثلغ وبلغ بمعنى شقّ فان الاذن لا تكاد تفرق بين لفظيهما وكذلك الحثالة والحفالة (الردي من كل شيء) واغتثت الخيل واغتفت أصابت شيئاً من الربيع ومن هذا القبيل الاشتباه بالسمع بين صوتي الكاف والهاء كقول بعض العامة « تان » في « كان »

أما الأدلة على قابلية الحروف للابدال فكثيرة منها ما قد طرأ على اللغات السامية بعد تفرّقها لانه من المقرّر انها أي العربية والعبرانية والسريانية كانت لغة واحدة تتكلم بها أمة واحدة تحت لواء واحد وانها بعد ان قُدّر للناطقين بها بالفراق أخذت تتنوع تبعاً لمقتضيات احوال كل فريق منهم فوصلت الينا على ما نشاهدها . وهذا الاختلاف قد جرى على ناموس الابدال ويكاد يكون قياسياً بدليل ثبوت النسبة بين الاحرف المتبادلة . لان ما كان من الالفاظ من أصل واحد فيها جميعها نرى انه اذا كان احد مقاطع اللفظة العربية « تاء » مثلاً يكون في مكانها في العبرانية « شين » وبالسريانية « تالا »

نحو « وئب » العربية فانها في العبرانية שׁב ישب وفي السريانية
 ܘܝܒ « يتب » . و « ئدي » في العربية فانها ܘܕܝ « شدا » في
 العبرانية و ܘܕܝ « تدأ » في السريانية . واذا كان ذالا في العربية كان
 زائياً في العبرانية ودالاً في السريانية كذَكَرَ و ܕܠܟܪ « ذكر » و ܘܕܘ
 « ذَكَر » . والالف في العربية والسريانية هي هاء في العبرانية مطلقاً
 نحو « ما » الموصولة في الاولين فهي ܡܐ « مة » في الاخيرة .
 والسين العربية شين في اختيها نحو « سأل » فانها فيهما ܫܐܠ
 « شال » . والغين العربية عين فيهما فالعرب يقولون « غرب »
 والعبرانيون والسريانيون يقولون ܥܪܒ « عرب » بالعين . واخلاء العربية
 حاء فيهما فنحن نقول « خرب » وهم يقولون ܚܪܒ « حرب » وأمثال
 هذا التبادل كثيرة عادية وفي الغالب قياسية كما رأيت بحيث يكاد المتكلم
 باحداها يفهم ألفاظ الاخرى فهماً تاماً ولا يكون على شيء من
 أمرها بشرط اطلاعه على ناموس هذا التغيير . وفي العبرانية والسريانية
 ستة أحرف يستعمل كل منها لمقطعين من مخرج واحد وهي د ب
 ج و د د ك ه ف ل ت فالاول يلفظ كالباء العربية أو الفاء
 الفارسية ܘܘ والثاني اما جماً افرنجية قياسية كما في ga أو غيناً عربية .
 والثالث اما دالاً عربية او ذالا والرابع اما كافاً او خاء والخامس اما
 فاء عربية او باء فارسية « پ » والسادس اما تاء او ثاء . ويشاهد
 الابدال في اللغة الواحدة من هذه باختلاف ادوارها وأزمنتها من
 ذلك في العبرانية ܘܘ « زعق » و ܘܘ « سحق » كانتا تلفظان في

اول ادوارها الثلاث « صعق » و « صمق » و « صمق » ومن قواعد اللفظ في اللغة الاشورية ان الاحرف السنائية (س ص ...) متى وقعت قبل احد الاحرف اللسانية السنائية (ت د ط ...) تقلب لاما . وان اللسانية السنائية متى وقعت قبل « س » تقلب سيدنا او صاداً ولا فرق في هذه اللغة بين الميم والواو لفظاً وحرفاً واحد يدل على كليهما ومن الادلة على وقوع الابدال أيضاً ما نشاهده في العربية من الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى وهي كثيرة نقتصر على ذكر بعضها ليقاس عليها . منها قولهم : بتك وبشك بمعنى قطع ولنا تاً ونشأ بمعنى واحد وبرتك وبرشك بمعنى بتك . ويقال اشعرت الخيل واثارت وابدعرت أي ركضت تبادر شيئاً تطلبه . والجيس والضيس بمعنى الجماد الثقيل الروح . وبذ وبز نهب وبث وبس فرق ويقال بلج الماء بمعنى برج . ونبح الكلب ونبح . ويقولون بمعنى السير الشديد أمج وعمج . وهمج وهبش أي ضرب وكذلك خبق وحبق والحبقر والعبقر بمعنى البرد (حب الغمام) والظاهر ان الاولى هي الاصل لانها مركبة من حب وقر أي برد وكان يقصد بها « حب البرد » ثم ابدلت الحاء عيناً بالاستعمال فصارت « عبقر » . ولحس ولهس ولعس بمعنى واحد ومثله كسر وقصر . وبرق وبلق بمعنى شق . ونحز ومحز ووكز بمعنى واحد . ويقال خب الرجل وغب منع ما عنده وقد أتى بهذا المعنى ايضاً هفت وخفض وهبط ونمط ونمض . وضع في المكان او قبع او قمع اقام ويقال غبن الثوب وخبه وكبته اذا عطفه وخاطه .

وبخس عينه وبخزها . والبسط كالسط في جميع معانيه . وبصع من الليل بمعنى بضع . ويقال بزق وبسق وبصق بمعنى واحد . وأفطأ على لغة تميم كأفت . وفلغ رأسه أو ثلغهُ بمعنى شدخه وهكذا أيد وأكد وقصم وقطم وقضم وقشم . وتسربل وتسغبل سواء في المعنى . وكذلك الراية والغاية والبلاغة والبراعة وغنى وقنى . وفي العربية من هذه الامثال ما يكاد لا يقع تحت الحصر

فقد ثبت مما تقدم ان الابدال واقع . اما اسبابه فهي في الغالب نتيجة علة طبيعية في اعضاء النطق في اول الامر ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات وربما خصصوا كل تنوع لفظي بتنوع من المعنى الاصيل ويشبه ذلك ما حدث في اللغة العامة بمصر . فانهم شقوا من لفظ « ثقيل » بالابدال ثلاثة الفاظ لكل منها معنى مستقل فاللفظة الاصلية ثقيل بالثاء ومعناها معلوم . فأبدلوا الثاء سيناً فقالوا « سقيم » ومعناها عندهم ثقيل الروح . وأبدلوا ايضاً تاءً وقال « ثقيل » ويريدون بها ثقيل العقل او الرزين . وقد حصل هذا التغيير اعتباطاً . ويقال نحو ذلك في « ثبات » فقد شقوا منها « سبات » بالسين بمعنى الصبر و « تبات » بالثاء بمعنى البلادة وثقل الروح . يساعد على حفظ هذه التنوعات افتقار اللغة في اول ادوارها للالفاظ ولانها لم تكن محدودة مدونة والابدال جارٍ في كل آن وزمان فيكم من الامم الذين لا يستطيعون لفظ الراء كما نلفظها نحن فيلفظونها قريبة جداً من الغين . ومنهم القسم الاعظم من الفرنسيين والانكليز وجميع قاطني الموصل

وجوارها . ومن عامتنا من يلفظها لاماً وهم في الغالب من الاحداث
وكثيرون يستحيل عليهم التلفظ بالثاء أو الظاء او الذال فيلفظونها تاءً
او سيناً وضاداً او طاءً ودالاً او زايماً . ويقول السوريون في ظلّ
« ضلّ » بلفظ الظاء ضاداً وبالعكس في ضبط فاتهم يقولون فيها
« ظبط » وقد أبدلوا ميم الجمع نوناً فهم يقولون « لهن وعليهن » في لهم
وعليهم و « يبنهن » في يبنهن كما سبقت الاشارة . واهالي ييروت
ودمشق لا يلفظون القاف الهمزة مفخمة والمصريون أعرق في ذلك
فيعولون « آل » في قال و « أميص » في قيص . وأغرب من ذلك
استبدال بعض عامتنا الحاء بالثاء فيقولون « صفت » في « صفح » أو
الكاف همزة فيقولون « آل » في أكل و « آسة في كاسة وبعضهم
يعكس الامر فيلفظ الهمزة كافاً كقولهم سكل في سأل

وطالما قيل لنا ان بعض سكان البادية يلفظون الكاف شيئاً
فيقولون « بيتش » في بيتك وهذا ما يدعى لغوياً بالكشكشة
وبعضهم يقول « انطى » في أعطى أي ببدال العين نوناً والبعض
لا يستطيعون لفظ الكاف الا تاءً فيقولون « تان » في كان وهكذا
في كثير مما لا يسعنا المقام استيفاه

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات في اللغة قبل ان دوّنت
اذ تكون أقدر على حفظها لما سبقت الاشارة اليه . وانه نظراً لكثرة
ستعمالها اتخذها الجامعون الفاظاً اصلية وهم في افتقار اليها لانهم كانوا
قد خصصوا كلّ لفظٍ حادث بمعنى حادث وان تكن جميع هذه

التنوعات قابلة الرد بالاستقراء الى أصل واحد لفظاً ومعنى . أما بعد ان دُوت اللغة وكثرت فيها التآيف ووضعت لها الروابط فقد قلّت قابليتها لحفظ هذه التنوعات مدوّنة فبقيت محصورة بين العامة

القضية الثانية

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا
ألفاظ ذات معنى في نفسها^(١)

والدليل على ذلك اننا اذا استقرينا هذه الالفاظ في لغات كثيرة متفاوتة تهديياً نرى انها تقرب من الدالة على معنى في نفسها بقدر ما تباعد عن الارتقاء والتهذيب حتى نصل أخيراً الى أدنى اللغات فتراها خالية من الادوات والحروف على الاطلاق ولكنها تستخدم بعض الافعال او الاسماء لقضاء وظيفتها . وايضاحاً لهذه القضية اذكر بعض الامثلة متدرجاً من اللغات الدنيا الى اللغات الاجنبية المهذبة ثم اللغات الشرقية عموماً واخيراً العربية خصوصاً

ان الصينيين كما سبقت الاشارة في غنى عن هذه الادوات فيستعيضون عنها بالافعال والاسماء فيعبرون عن حرف الجر « في »

(١) يشتمل هذا النوع من الالفاظ على الحروف وما يشبهها وأحرف الزيادة الداخلة على الافعال والاسماء في الاشتقاق

بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شأجنُ إي تنغ » مفادها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني أواسط افريقيا قبائل تعرف بقبائل « مندنجو » اذا أرادوا تأدية معنى « على » قالوا « كنج » اي عنق او « في » قالوا « كونو » اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا « في » . وأدوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شا كل في اللغات الصينية هي في الغالب أفعال او اسماء ذات معان مستقلة

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا أدوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص او ما شا كل والمشهور من هذا النوع البولينية والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز أصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا انزلت كما هو ظن البعض في لغتنا

وكان المصريون القدماء يعبرون عن « من » في قولنا « ساعة من ذهب » بلفظة « نسو » ومعناها الاصيل « لسان » ولا ندري أي العلاقة بين هذين المعنيين حتى استعملت لهما لفظة واحدة ولعلم تصوروا في اللسان صفة الخروج فاستعملوه بمعنى « خرج من » أي « تكون من » وهو المقصود بقولنا « ساعة من ذهب » . وعندهم

« خم » ومعناها حرفياً « غير عارف » ويستعملونها بمعنى « بدون »
 والباحث في الطائفة الآرية يرى أمثالا لا تحصى جميعها تشهد
 بصدق قولنا وصحة قضيتنا . ويساعد على ذلك سهولة استقراء ادواتها
 لتوفر المواد اللازمة لذلك وهي اللغات القديمة أمهاتها منها اللاتينية
 والجرمانية القديمة واليونانية والسنسكريتية و أكداد لا أحتاج الى ذكر
 شيء من هذا القبيل نظراً لاشتهار أمرها لكن لا بد لي من ايراد
 بعض الامثلة زيادة للايضاح

قلما يخطر للمتكلمين بالانكليزية ان such مثلاً ومفادها « كذا »
 منحوتة من أصلين يقربان من so-like ولولا وجود اللغة
 الانجلوسكسونية أمّ الانكليزية لتعذر استقراءؤها . فهي في تلك
 اللغة swyle وفي اختها الجرمانية solch وجميعها بمعنى واحد . وهكذا
 في which مفادها « أي » وهذه يمكن تتبعها على الطريقة عينها الى
 ما يماثل who-like وهي في الانجلوسكسونية hwyle وهكذا الحال في
 if حرف شرط فانها تُرد الى gif في الانجلوسكسونية و give في
 الانكليزية أي « أعطى » فكأنهم يقصدون بقولهم if you come
 ما هو في الاصل give :that: you come ولكثرة الاستعمال نحتت
 الى if واستغني عن that فبطل استعمالها فبقيت if حرفاً لا يعرف
 عنه الا كونه يستعمل للشرط . وهكذا لو بحثنا عن iy الاداة التي
 تلحق أواخر الاسماء فتحوّلها الى نعوت والنعوت فتجعلها ظرفاً نحو
 God إله godly الهيّ و generous كريم generously كرماء فقد

استطيع تتبعها الى *lie* الانجلوسكسونية وهي في الانكليزية *like* اي « مثل » وفي الجرمانية *lich* وفي السويدية *lig* وفي الدتش *lijk* وجميعها بمعنى واحد فعلموا ان *generously* كرمًا أصلها *generous-like* « مثل كريم » وهكذا فيما بقي

اما اللغات الشرقية فتتبع ألفاظها اصعب من المتقدم ذكرها نظراً لقلة المواد اللازمة لذلك كما هو معلوم . بيد اننا لا نعلم وسيلة في تقديم بعض الامثلة تقر بآ من المقصود

يستعمل العبرانيون *למען* (عم) والسريانيون *ܥܡܢ* (عم) لما هو في لغتنا « مع » حرف عطف واللفظة عينها في العبرانية وما يقاربها في السريانية تستعمل بمعنى شعب والعم الشرعي . فيستدل من كل ذلك ان الاصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها اسماً واداة عطف كما رأيت . ولا يخفى ان « مع » مقلوبة عن « عم » وعند العبرانيين *למדוע* (مدوع) بمعنى « لماذا » مركبة في الاصل من *ל* (ل) و *מד* (مه) الموصولة و *למדוע* (يدوع) علم . وهم يعبرون عن قولنا « حسب » بقولهم *לפי* (لبي) وهي مركبة من حرف الجر « ل » و *פי* (في) فم . وعندهم بالمعنى عينه *כפי* (كفي) من كاف التشبيه و « في » المتقدم ذكرها . وكانوا يستعملون نحو الجيل الثاني عشر قبل المسيح *לפני* (أشر...) مركبة من *ל* (أشر) الذي ولام الاضافة بمعنى خاصة او ملك وبعد ذلك باجيال اختصر والفظها حتى صارت تلفظ وتكتب *ל* (شل)

بالمعنى عينه فلو لم تحفظ لنا التوراة لغة ذلك العصر لما تيسر لنا تتبع
« شل » الى « أشرل ... »

والسريانيون يستعملون **حدم** (مكيل) بمعنى اذن وهي تحل
الى **صح** (من) حرف جر و**صم** (كيل) مفادها « قياس الزمن »
ولديهم **بها** « هشا » بمعنى الآن مركبة من **ها** (ها) للتثنية والاشارة
و**حدا** (شعا) ساعة و**سدوا** (أيكنا) كيف مركبة من « أي »
الاستفهامية و**ودا** (كنا) وهذه أصلها **صودا** « كهنا » من كاف
التشبيه و**ودا** (هنا) هذا او هذه تحل الى « ها » التثنيه و**دا** (نا)
الاشارة بمعنى « ذا » فكان الاصل في « أيكنا » « أي كهانا » .
وأغرب من ذلك انهم ركبوا من « هشا » المتقدم ذكرها و « عدو »
حتى و « ما » الموصولة ما مفاده « حتى الآن » لكنهم اختصروا في
لفظها حتى صارت **حدم** (عدمش) على ان الاصل فيها « عدماها
شعا » فتأمل

والاشوريون كانوا يستعملون كلمة « قلب » لما هو في لغتنا
« وسط » وكثيراً ما نسمع بعض العامة يقولون « في قلب البيت »
ويقصدون في وسط البيت . ويستعمل المالطيون « تع » للاضافة كما
يستعمل الفرنسيون **de** والانكليز **of** وعند البحث عن اصلها نرى
انها بقية « متاع » التي لا تزال تستعمل بين عامتنا بمعنى خاصة او ملك.
والمصريون اكثر استعمالاً لها وقد تصرفوا في لفظها فقالوا فيها « بتاع »
فقد رأيت في ما تقدم ان اللفظة الواحدة تحل الى لفظين

فاكثر وانه بتركب لفظين فاكثر يحصل لفظ جديد أقل احرفاً من مجموع احرفها وقد اشرت ان هذه الالفاظ تتحول الى لفظ واحد بالبحت وهاك بعض ما يتعلق به زيادة للايضاح فاقول

﴿ النحت ﴾

النحت ناموسٌ فاعل على الالفاظ وغاية ما يفعله فيها انما هو الاختصار في نطقها تسهيلاً للفظها واقتصاداً في الوقت بقدر الامكان . وهذا الناموس لم تنبج من فتكه لغة من لغات البشر ادناها واسماها بل قد جرى فيها على السواء من اول نشأتها ولم يزل حتى الآن ولن يزال الى ما شاء الله . ولا يخفى انه مهما كان من عظيم أمره وكيفما تنوعت طرق عمله ليس للانسان في ذلك يدٌ اختيارية فالنحت جارٍ في الالفاظ عن غير قصدٍ من الناطقين

وهو جارٍ في لغة عامتنا على كيفية ربما أفادت الاشارة اليها اذ منها يظهر مقدار ما لهذا الناموس من عظيم التأثير في ألفاظ اللغة وتعلم انه ليس عليه من مستعظم فأقول

يستعمل الديمشقيون لفظة « شلون » بامالة الفتح نحو الضم بمعنى كيف للاستفهام . فلو فرضنا ان لغة عامتنا جُمعت في هذه الايام بغية حفظها لغةً كتابية وان أحد علماء اللغة في القرن القادم او ما بعده قصد البحث في ألفاظ اللغة بحثاً تحليلياً . فوصل الى هذه اللفظة ماذا ترى يكون رأيه فيها . لا أظنه الا مرجحاً كونها مركبة من أصلين

فاكثر . وربما اهتدى بعد اجهاد الفكرة الى انها مركبة من « لوْن »
والشين ومن تحليل معناها يتبين له ان هذه الشين تتضمن معنى
الاستفهام اذ انه يقصد من استعمالها مع « لوْن » الاستفهام عن
الكيفية . لكنه عند ذلك لا يكون قد فعل شيئاً لانه لم يزل جاهلاً
معنى هذه الشين الاصيلي . فهذا اذا كان ممن يذهبون الى ان الالفاظ
كذا انزلت لا يرى بدأً من التسليم ان هذا الحرف انما وضع
للاستفهام . لانه يراه قد ورد كثيراً في لغات بيروت ولبنان كقولهم
« شمسك » بمعنى ما هو اسمك وما شا كل . وان كان ممن يعتقدون
الخلاف ويعلمون ان جميع الادوات الدالة على معنى في غيرها انما هي
بقايا الالفاظ ذات معنى في نفسها يأخذ في البحث عن الالفاظ تتضمن
هذا المعنى وهذا الحرف وربما عثر بعد العناء العظيم على لفظة « شو »
التي يستعملها البيروتيون بمعنى « ماذا » فيحكم ان تلك الشين منحوتة
منها . وهناك تنقطع سلسلة بحثه فيقف متحيراً أسفاً على ما خسرت
اللغة من الالفاظ التي هي حلقات ضرورية لاستقراء أصل مثل هذه
الكلمات فيتوقف عن البحث وهو على يقين ان ثمَّ حلقات قدّر
فقدانها ولولا ذلك لتيسر له الاستقراء كما يشاء . اما نحن الآن نظراً
لبقاء تلك اللغة متداولة بيننا ولدينا منها لهجات عديدة فيسهل علينا
تتبع هذه اللفظة الى أصلها تماماً

فان اللبنانيين يعبرون عن « شو » البيروتية بقولهم « أيش »
وبعضهم يلفظها « أيشو » وبعض البيروتيين تصرفوا بها على طريقة

غريبة فقالوا شُوْتُوهُ « والسودانيون يقولون « شُوْتُو » فمن
المقابلة يتضح جلياً ان الاصل فيها جميعها عبارة مؤلفة من ثلاثة ألفاظ
مستقل احدها لفظاً ومعنى وهي « اي شيء هو » وهنا يعرض لدينا
سؤال آخر وهو هل يمكن استقراء احدى هذه الالفاظ الى اكثر
من أصل واحد . والجواب اننا لحد معرفتنا الحاضرة يصعب علينا
ذلك ويلوح لي ان بعضها قابل وسيأتي الكلام على ذلك في آخر هذا
الفصل . والخلاصة أفلا يستغرب ذلك اللغوي اذا قيل له ان هذه
الشين منحوتة أصلاً من ثلاثة ألفاظ مستقل أحدها عن الآخر
لفظاً ومعنى

وهكذا لو سألنا عن « ليش » المستعملة بمعنى لماذا فاننا نراها
مؤلفة من لام الاضافة و « أيش » المتقدمة الذكر فكان الاصل فيها
« لاي شيء هو » والبيروتيون يقولون « بدّي » بمعنى أريد وهي
منحوتة من « بودي » وبعضهم يقول « ماش » اي لا شيء وهي
منحوتة من « ما شيء » . وهم يستعملون « شحو » للتثنيه بمنزلة « ها
هو » والاصل فيها « اقشعه » ولم نكن لنعلم ذلك لولا ان بعض
الذين يلفظونها يقربونها من الاصل نوعاً فيقولون « شعو » . والمصريون
يعبرون عن نفي الحال بقولهم « مَشْ » وبعضهم يلفظها « ما هوش »
تقريباً من الاصل الذي هو « ما هو شيء » . واللبنانيون يعبرون عن
قولنا « الآن » بقولهم « إسا » ويلفظها بعضهم « هَسَع » ويقول فيها
السودانيون « حَسَع » والاصل فيها « الساعة » أي هذه الساعة . ومن

هذا النوع قولهم « لِسًا » وأصلها « للساعة » والبيروتيون يقولون « هلا » بمعنى الآن وبعضهم يلفظها « هَلَّق » والدمشقيون يلفظونها « هالِقيت » بلفظ القاف همزة مفخمة والبنانيون يلفظونها اقرب للاصل من الجميع فيقولون « ها الوقت » والاصل فيها هذا الوقت او « ها الوقت » . ويستفهم البيروتيون عن الكمية بقولهم « قدَّيش » ولا يقصدون بها الا « كم » على ان الاصل فيها « قدر أي شيء » وهكذا الحال في « كان » المستعملة بمعنى ايضاً والاصل فيها « كما ان »

وهكذا لو تتبعنا سائر الفاظ العامة . فتأمل كيف يفعل النحت على الالفاظ فيمسخها مسخاً ولا يبرح من بالك انه يختلف في المعنى الواحد باختلاف الاحوال كما شاهدت في شو وأيش وايشو وغيرها . ولا أظنك ترتاب بانه كان يفعل مثل هذا الفعل على اللغة قبل ان بوشر في جمعها بازمان . وعليه فلا تعجب اذا ذهبنا الى ان الالفاظ الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معانٍ في نفسها ولو تعسر علينا استقراء جميعها

قد مررت مرّ المسرع على اللغات الاجنبية ولغة عامتنا فذكرت منها بعض الامثلة فهلّم ننظر في العربية الفصحى لعلها تُسعف فتعطينا ان نبين شيئاً من أصول هذه الادوات وباللّه التوفيق

ان الحروف المنطوية تحت هذه القضية هي أحرف الجر والعطف

والمشبهة بالفعل والمشبهة بليس وحروف الاستثناء والاستفهام والنواصب والجوازم والحروف المبنية وأحرف الزيادة

فمن هذه الحروف ما لا يزال مملوحاً فيه معناها الاصل الذي كانت تدل عليه قبلما قدر لها فقدانه والاشتغال في ما غيرها . منها قولنا « خلا » و « حاشا » الاستثنائيتين وكذا « عدا » فانها مأخوذة من عدا يعدو اي تجاوز . وهكذا الحال في « على » . وكثير من الافعال والحروف فلما يُنظر عند استعمالها حروفاً الى كونها أفعالاً او أسماء ولو لم تكن الاصول المشتقة هي منها كثيرة التداول بيننا لما كنا نحسبها الا حروفاً او ظروفاً جامدة . مثال ذلك قولنا « داخل البيت » لا نقصد به اعتيادياً الا « في البيت » وهكذا « خارج البيت » وقولنا « نحو البيت » لا نفهم به غالباً الا « الى البيت » مع انها مشتقة من نحو اي قصد ومن مشتقاتها ناحية وقس عليها ومنها ما لم يعد تتبعها سهلاً لانها خسرت بعض حروفها لكثرة الاستعمال وهذه اما احرف مفردة كالباء واللام والكاف والواو والفاء والتاء او غير مفردة وهي ما بقي منها

فالباء حرف من حروف الجر يستعمل لافضاء معاني الافعال الى الاسماء وهي تأتي لاربعة عشر معنى : الالتصاق والتعدية والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدائية والمقابلة والمجاورة والاستعلاء والتبويض والتقسم والغاية والتوكيد . ومعلوم انه لا يمكن ان تكون جميع هذه المعاني أصلية فيها وأظن لا سبيل لنا الى معرفة ما وضعت

للدلالة عليه في الاصل الا مقابلتها بالباء المستعملة في اخوات العربية
واذ ذلك نرى ان الباء لا تستعمل في سائر تلك اللغات الا للظرفية
فيرجح ان هذا هو الاصل في دلالتها عندنا . وما بقي من المعاني ليس
الا تفنناً عربياً . فهل تساعدنا هذه النتيجة في تتبع أصلها — نعلم
بالاستقراء ان هذه الباء هي بقية كلمة ذات معنى مستقل هي حمم
(بيت) بدليل ان هذه الاخيرة مستعملة في السريانية بمعنى في او بين
فيقولون حمم حمم (بيت قبورا) اي في او بين القبور ولنا حد
(بي) وهي حلقة موصلة بين « بيت » والباء قد وردت في التلمود
والترجوم بمعنى في البيت وهي في السريانية مجزوم « بيت » وتفيد
الظرفية . فيكون لنا إذن سلسلة تامة الخلتات وهي « بيت » ثم
« بي » ثم « ب » فيرجح ان الباء هي بقية « بيت » ونظراً لورود
« بي » السكلدانية بمعنى الظرفية لا مانع من ان تكون « في » العربية
مقلوبة عنها

واللام كالباء تستعمل لمعان كثيرة ومن المقابلة يتضح ان الاصل
في دلالتها الاضافة والقصد أي انها تتضمن معنى الى وهي تقوم مقامها
في العربية والسريانية ومما يؤكد ذلك ان « الى » قد فقدت من
السريانية تماماً اما في العبرانية فتحولت الى « إل » ثم « ل » فيرجح
بل يؤكد ان هذه اللام بقية « الى » . ورب قائل من اين اتيت بهذه
الدلالة فاجيبه . يظهر ان الاصل في معنى « الى » الجهة والناحية كما
هو الحال في « نحو » بدليل كون هذه اللفظة في العبرانية جمع ما مفاده

جهة او ناحية وفي العربية « ائية » بمعنى جهة أو ناحية . والظاهر ان الاصل في « الى » لفظ يقارب « ائية » او هي نفسها وكأنهم كانوا يقصدون بقولهم « ذهب الى المدينة » ما يفيدهُ قولنا « ذهب نحو المدينة »

والكاف يظهر من المقابلة ان الاصل في مؤدّاهما التشبيه بدليل كونها هكذا في بقية اللغات الشرقية . اما أصلها فيظهر انه فقد من العربية وحفظ في اخواتها . فهي في العبرانية بقية 𐤀𐤌 (كن) مفادها « كذا » وربما يقصدون بقولهم « زيد كالاسد » زيد كذا الاسد . و « ركن » هذه منحوتة من 𐤀𐤌𐤍 « أكن » في العبرانية بمعنى « حقيقة » وفي الكلدانية ܚܟܝܢ (هكين) او ܚܟܝ (هكي) وقد شق العبرانيون من « أكن » ايضاً « أك » ظرفاً يفيد التأكيد . وشق السريانيون من « هكن » اسم (أيك) تُلفظ « آخ » بمعنى كاف التشبيه وربما كان في « كنا » العربية ما يامح فيه هذا المعنى

فبناءً على ما تقدم يرجح ان كاف التشبيه هي بقية أصل يقابل « أكن » العبرانية فقد من العربية ولم يزل محفوظاً فيها مركباً مع لا النافية أعني به « لكن » قال بعض أئمة اللغة انها تفيد الاستدراك فكان أصل مؤدّاهما « لا حقيقة » بنفي ما ذكر وتأكيد ما هو آت . هذا ولا غرو اذا شوهد ثم شيء من الاختلاف بين مؤدّاهما الاصيل وما هي عليه فان الاستعمال لا يزال يفعل عليها حتى الآن اذ ان العامة تستعملها بمعنى « اذن » فيقول البيروتيون « شو بعمل لكن » بمعنى

« ماذا عمل اذن » فسبحان الذي يغير ولا يتغير

والواو تستعمل لما ينيف على ٣٥ معنى جميعها ترد الى الاستصحاب والاستئناف وعليه يرجح كونها منجوتة من أصل حفظ في العبرانية وهو ١١ « وَوُ » فعل متعدٍ مفاده وَصَلَ و « سَمَّرَ » . ويرجح ايضاً ان الفاء مقلوبة عن هذه الواو لان هذه الاخيرة تؤدي معنى كليهما في العبرانية والسريانية فهم يقولون . « آمَنَ وَتَحِي » لما هو في لغتنا آوَنَ فتحي . ولا يصعب تبادلها لانهما من مخرج واحد . او انها بقية « فاء » بمعنى عاد

أما التاء وتقصد بها هنا تاء القسم فقد قال الزمخشري في « تالله لا كيدن اصنامكم » الباء أصل أحرف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة معنى التعجب كأنه يتعجب من تسهيل الكيد على يده . اه

وما بقي من الادوات مما لا يلمح فيها معناها الاصلية فؤلف كل منها من حرفين فاكثر . ومن هذه ما هو مركب من أداتين فاكثر نحو « الإآ » من « إن لا » بالادغام و « ألم » من همزة الاستفهام و « لم » النافية وهكذا في حيثما وكأني وكذا وكيفما وأيان واذما ولولا وما شاكل

ومنها ما يظهر بسيطاً لكنه قابل الحل الى غير أصل واحد نحو « الآن » فهذه تحل بسهولة الى « أل » التعريف و « آن » بمعنى الوقت وبجملتها تفيد « هذا الوقت » وكذلك « بين » فانها مركبة من

باء الجر و « أين » ظرف مكان . و « لكن » قد تقدم انها مركبة من لا النافية و « كن » بمعنى « كذا » . و « ليت » تحل الى « لا » النافية و « آيت » الدالة على الكون المطلق في السريانية وقد أبدلت في العربية « بأيس » كما سترى في محل آخر . و « منذ » تحل الى « من » و « اذ » . و مثل ذلك « عند » فانها مركبة من « عن » و « يد » بدليل كونها كذلك في اخوات العربية حيث لا تزال تستعمل مكتوبة كل على حدة أي « على يد » واللام والنون تتبادلان بسهولة كما لا يخفى . فان العامة تقول في العام الاول « عاملاً أول » و « عامناً أول » . وهكذا في « لدى » فانها على الأرجح مقبولة عن « ليد » لانها تتضمن معنى عند تقريباً . و « كم » لا ريب في كونها منحوتة من « كاف » التشبيه و « ما » الموصلة لانها في اخوات العربية « كما » فكان الاصل في مؤدأها الاستفهام عن الماهية أي انه كان يقصد بها ما مفاده « مثل ماذا » وبالاستعمال خصصت للاستفهام عن الكمية العددية كما حدث في « قدّيش » المتقدم ذكرها . و « مها » أصلها « ما وما » وهي في العبرانية « ما ومه » أي مؤلفة من ما الموصلة معطوفة على نفسها كان المراد بها في بادىء استعمالها المبالغة في معنى « ما » . و « لن » منحوتة من لا النافية وأن المصدرية فقصدوا بها في بادىء أمرها نفي المصدر الذي يلمح فيه معنى الاستقبال ثم اطلقت لنفي الاستقبال وربما كان الاصل في « لم » كذلك « لا ام » لكنها قد تنوع معناها بحيث يعسر الحكم عليها قطعياً . ويقال بالاجمال ان

جميع الادوات التي تفيده النفي على أنواعه تكون اما تنوعاً للاداة الاصلية « لا » او مركبة منها وأصل آخر

أما « لدن » فهي « لدى » بعد ان ادخلت عليها النون التي هي من تفننات العرب فيلحقونها بأواخر الكلم للترخيم كالتنوين وكما هو الحال في « من » الموصلة فانها و « ما » من أصل واحد بدليل استعمال الاشوريين هذه الاخيرة بمقام الاثنتين وفي العبرانية لنا 𐤋𐤁 (مه) اداة الموصول لغير العاقل و 𐤋𐤁 (مي) للعاقل . ولم يزل العرب حتى الآن يتفننون باضافة النون في اواخر الكلم فان السودانيين منهم يقولون « كيفن » بدلاً من كيف و « متين » في متى . و « متى » نرجح انها مركبة من « ما » الاستفهامية وأصل آخر يفيد الاشارة ربما كان « ذا » لانها هكذا في العبرانية والسريانية فيقول السريانيون « ما داتا » أي متى اتي وبدلاً من « ماد » السريانية يستعمل العبرانيون « ماش » مركبة من ما الموصولة والشين التي هي بقية اسم الموصول « أشر » . والادل السريانية هي اداة الموصول بنفسها

فبعد هذا التجريد قلت الاصول الناشئة عنها هذه الادوات واماكن حصرها في عدد قليل جداً اهمها « لا » و « ان » واخواتها و « او » و « ما » الموصولة و « من »

أما « لا » النافية فيظهر ان النطق بها للنفي طبيعي لوجودها في سائر اللغات على السواء بمعنى واحد فانها في اللغات الشرقية « لا » وفي الطائفة الآرية no او احد تنوعاتها والنسبة اللفظية بين هذين اللفظين

واضحة لان اللام والنون من اكثر الاحرف تبادلاً لتقارب مخرجيهما كما مر عليك . والنتيجة ان احدهذين المقطعين اصليٌّ فيها والآخر مبدلٌ منه . وعندني ان النون هي الاصل بدليل اكثرية ورودها عموماً فهي عمومية في اللغات الآرية لانها في اللاتينية وفرنسية ne وnemo وno وin وفي اليونانية ni وفي السنسكريتية an وna وno وفي الجرمانية nie وnein وفي الانكليزية not وnay وun وin وno وفي الفارسية « نا » او « نه » وفي القبطية an . وقد ابدلت لأمًا في اللغات الشرقية لكنها تركت أثرًا يشير الى سابق وجودها . فلنا في العبرانية ٣٤٤ (أين) بمعنى العدم المطلق ومثل ذلك ٣٤٤ (أون) . وفي العربية لنا « نَهْنَهْ » « وناأنا » بمعنى كفكف وأبطل . ولا يخفى ان الاصل في هذين الفعلين « نا » او « نه » كما في الفارسية وضوعفا للمبالغة كما اعتاد العرب في مثل هذه الاحوال فانهم يقولون « عنعن » فلان أي اكثر من ذكر حرف الجر « عن »

ولا نكتفي بذلك بل نسأل اني لهذه اللفظة الدلالة السلبية وهل وجدت كما هي أم نحتت عن اصل سابق لها . والجواب على ما أرى ان هذا المقطع من المقاطع التي ينطق بها الانسان غريزياً للنفي والآن لما تأتي للصدفة ايجادها على هذه الصورة من المطابقة في سائر اللغات . والنفي في أبسط أحواله يحصل بمجرد رفع الصوت كما لو أردنا تقديم تفاحة الى طفل مثلاً وقصدنا توجيه ارادته لآخذها فاننا نناديه بصوت منخفض قائلين « تفاحة تفاحة » لكن لو أردنا زجره

عن أخذها لرفعنا صوتنا قائلين أيضاً « تفاحة تفاحة » بانتهار فيهم
 قصدنا . ويتضح ذلك في معاملتنا الحيوانات التي دوننا في الفهم فاننا اذا
 أردنا استدعاء الهر مثلاً نناديه بصوت معتدل « بس بس ... » فيأتي
 آمناً فاهماً مرادنا ولو أردنا طرده من أمامنا لما احتجنا الا لنفس
 الصوت مرتفعاً مصحوباً بنبرة تهديدية^(١) . ولا يخفى اننا نستعمل مع
 رفع الصوت لزجر ذلك الطفل صوتاً غتمياً حاصلًا من اطباق الفم
 واخراج الصوت من الانف اذ يسمع متوسطاً بين الميم والنون وربما
 قلده البعض بتولهم « هم » او « هن » وتستعمله العامة لزجر الاولاد
 عن أخذ شيء ما والاطفال تفهم بالبدئية دلالة هذا الصوت على النهي .
 ولا يبعد أن يكون هو الاصل لجميع تنوعات النفي المتقدم ذكرها .
 ويؤيد ذلك كون هذا الصوت الغتمي يستعمل في اللغة المصرية القديمة
 بمنزلة « لا » الناهية عندنا

أما علاقة هذا المقطع بما قصد به فوكولة بالصورة الذهنية . كما
 اننا نقصد برفع الرأس نحو الورااء السلب أو الرفض وبأحنائه نحو
 الصدر الايجاب او القبول ولا سبيل للتعليل عن هذه الاشارة ونسبتها
 الى ما قصد بها على اننا نجرها طبيعياً عن غير علم منا

(١) ومن طرق النهي في اللغة الاشورية الحاق صوت تهديدي هذه
 حكايته (إه) بصيغة الامر فيقولون في الامر مثلاً (إفعل) وفي النهي
 (إه إفعل)

الفلسفة اللغوية

ومن غرائب النفي والايجاب مما لا يمكن التعبير عنه تعبيراً واضحاً ما يستعمله بعض عامتنا علامة للسلب وهو صوت يحاكي السين او الصاد ويحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق ثم سلخه عنه بطريقة تحاكي المص أو « تس » . والسودانيون يستعملونه أيضاً وعندهم صوت آخر يقصدون به قولنا « نعم » او « مليح » والتعبير عنه بالكتابة تعبيراً واضحاً صعبٌ جداً . وهو يحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق كالمرّة الاولى وجعل الهواء يمر بعنف في الجهة اليمنى نحو القصبة . ومهما يكن من أمر هذه الاصوات وصعوبة التعبير عنها فهي موجودة واستعمالها جار بكثرة بين ألوف من الامم . على اننا لم نسمع بوجود حرف يدل على لفظها فالظاهر انها حديثة العهد

هذا ولا يخفى ان ما صح على « لا » يصح على كل تنوعاتها الناهية والنافية أما « لو » فلكونها شرطية وتستعمل حينما قصد امتناع الجواب لامتناع الشرط ونظراً لورودها في كتب اللغة مراراً للتمييز بمعنى ليت وأحياناً للعرض بدلاً من « ألا » ارجح كونها وحده (لو) السريانية شيئاً واحداً وهذه الاخيرة منجوتة من (لا) والماضي من فعل الكون الذي هو في تلك اللغة ܠܘܐ (هوا) فكان الاصل في استعمالها للتمييز كقولهم « لو نيمتُ التعصب فنحني الوطن فكاننا قلنا ليتنا نيمتُ الخ » او العرض بمعنى « ألا » نحو « لو تنزل عندنا فتصيب خيراً » والمقصود « ألا تنزل » وجملة القول ان « لو » تعد من مركبات « لا » السابقة الذكر

أما « إِنْ » و « إَنَّ » واخواتها و « أَنْ » و « أُمَّ » فمن أصل واحد هو أحداها والدليل على ذلك أن في سائر اللغات الشرقية لفظة واحدة هي 𐤀𐤍 (ام) في العبرانية و 𐤀 (ان) في السريانية وأم في الحبشية تقوم مقام جميعها استفهاماً وإشارة وشرطاً وتوكيداً واستدراكاً

وإذا سلمنا بوحدة أصلها يخطر لنا السؤال عن كيفية احتمائها على كل هذه المعاني والدلالات . وعند ذلك يتبين أن الأصل في دلالتها التوكيد والتحقيق فتفرع عنه الاستفهام وهو طلب التحقيق والإشارة وهي التحقيق بعينه والشرط ويقصد به حسب تعريف النحاة ترتيب وقوع أمر على وقوع أمر آخر فكانهم كانوا يقصدون بقولهم « إن قام زيد أقم » أي متى تأكد قيام زيد تأكد قيامي . أما الاستدراك فهو العدول عن الخطأ إلى الصواب وفيه معنى التحقيق وهكذا فيما بقي من مدلولات هذه الألفاظ

أما الاختلاف اللفظي بين هذه الأدوات فلا يعتمد به نظراً لسهولة التبادل بين الميم والنون كما قد مر في محل آخر وكما هو الحال في « ذنب » العربية فإنها مبتدلة من « ذمب » في اللغة الآشورية والعامية تقول « انتلى » عوضاً عن « امتلأ » . أما من قبيل الأسبقية بين الميم والنون فالأرجح أنها للميم لأنها من الأحرف السهلة النطق وهي كما أشرنا في أول هذا الكتاب من الأحرف المتفق وجودها في سائر لغات البشر . ولا يخفى أن الأطفال في أول أدوار حياتهم أول

ما يتلفظون بها فينادون بها اقرب الناس اليهم (امهم) ويطلبون اول
 وأهم احتياجات عيشهم فيقولون « ممأ » يقصدون الخبز ومن الغريب
 اتفاق وجود اسم الولادة في كل لغات البشر بلفظ واحد تقريباً والمقطع
 الاصيلي فيه الميم

وأغرب من ذلك ان الميم في اللغة المصرية القديمة تستعمل حيثما
 احتيج الى ربط معنى باخر فتكون حرف جر فتقوم مقام « من والى
 وعن وعلى وفي » او حرف عطف عوضاً عن « الواو » او ظرفاً فتقوم
 مقام « بين وحيثما وغيرهما » او حرف تشبيه بدلاً من « كما ومثل »
 وللتحقيق عوضاً عن « ان واخواتها » وتركب مع غيرها من الادوات
 فتولد ادوات عديدة لمعانٍ شتى ويستعملونها قبل الاسماء بدلاً مما هو
 في لغتنا تنوين النكرة فيقولون مثلاً au-a em sera أي « كنت
 ولداً » فترى ان au-a تفيد « كنت » و sera ولد و em للتنكير .
 فيظهر ان بينها وبين نون التنوين عندنا نسبة لفظية ومعنوية كما ترى .
 ويؤيد ذلك ان هذه الميم تستعمل في اللغة الاشورية والعبرانية لبناء
 الظروف فيضيفونها الى آخر الاسماء فتصير ظرفاً

وقصارى الكلام يقرب للعقل أسبقية الميم وكونها هي الاصل
 في كل هذه التنوعات اللفظية كما ان معناها الاصيلي الذي هو التحقيق
 او التأكيد هو الاصل لكل تنوعاتها المعنوية
 والسؤال الاخير الذي لا مناص من مخامرته الذهن هو . أني
 لهذا الحرف هذه الدلالة . ولا ريب ان في الاجابة عليه صعوبة على

اني ارجح كل الترجيح انها و « أمن » في اللغات الشرقية من أصل واحد ولعل الميم هي من الاحرف الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيًا للتحقيق^(١)

هذا ولا يفوت القارىء ان « ما » الموصولة وتنوعاتها لفظًا ومعنى تنطوي تحت هذا الباب لانها مقلوب « ام » المتقدم ذكرها ولان « ما » في الاشورية تقوم مقام « ام » و « ما » العبرانيتين اي ان وأن وان واخواتها وأم وما الموصولة ومركباتها في العربية وقولنا « ان هذا الاملك » يضاهي قولنا « ما هذا الاملك »

أما « ما » النافية فاما ان تكون مبدلة من « لا » او « نا » واما ان تكون قد اكتسبت دلالة النفي بالمجاورة بمعنى ان الاشوريين مثلاً استعملوا « ما » الموصولة مع « لا » النافية كلمة واحدة لمدة للنفي ثم صاروا يستعملونها وحدها ويقصدون بها النفي . وقد جرى مثل ذلك في اللغة الفرنسية فالفرنساويون يقولون *personne* ويقصدون بها ولا شخص على ان معناها الاصلي شخص

اما « او » فالظاهر انها و « أي » من اصل واحد لتقاربهما لفظًا ومعنى ويؤيد ذلك كونهما في اللغات الشرقية اخوات العربية واحدة

(١) ربما لاحظ المطالع بين هذه الميم والنون التي تبرهن كونها اصلاً للجمع تنوعات النفي مشابهة لفظية ومناقضة معنوية ولا يستغرب استعمال احدهما في اول الامر لكلا المعنيين اعني للتحقيق والنفي بتمييز نوع المعنى بدرجة نغمة الصوت كما سبقت الاشارة

هي « أو » فهي الاصل في العربية ايضاً . وهي تستعمل فيها لاحد عشر معنى . الشك والابهام والتخيير والاباحة والجمع المطلق كالواو والاضراب والتقسيم والاستثناء بمعنى إلا او بمعنى الى أن والتقريب والاشتباه والشرطية نحو لا ضربته عاش أو مات . ومعلوم ان هذه الدلالات لا يمكن ان تكون جميعها أصلية ويستنتج من المقابلة ان الاصل في دلالتها الموافقة والمساواة بين أمرين وعند ذلك يتبين لنا أنها بقية لفظة ذات معنى في نفسها فتدت من العربية وحفظت في اخواتها فهي في السريانية اوم (أوي) طابق أو وافق في العبرانية ١١٤ (أوه) اختار فيرجح ان هذه اللفظة هي الاصل نظراً لتوافق المعنى واللفظ واجتماع معنى الموافقة والاختيار معاً اذ اليهما تعود جميع تنوعات دلالة « أو »

اما « من » فتأتي لمعان خمسة عشر يُرَدُّ جميعها الى التبويض و ١٢ (من) في العبرانية جزء أو قسم فر بما كانت مشتقة من أصل يفيد قولنا قسم أو جزاً

وهكذا فيما بقي من الادوات فان معظمها قابل الرد بالاستقراء الى اصله بشرط اعتبار فعل النحت وقابلية الالفاظ للتغيير والتنوع دلالةً ولفظاً

بقي علينا النظر في أمر احرف الزيادة وفي هل هي بقية الفاظ ذات معنى في نفسها فتقول :

ان فائدة هذه الاحرف محصورة فيما يحصل من الاشتقاق

والتصريف في الافعال والاسماء فتدخل عليها وتنوع في معناها تنوعاً
يختلف باختلاف ذلك الحرف

وقبل الشروع في استقرائها اذكر شيئاً عاماً يتعلق بأصل
هذه الزيادة :

ان الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة . أعني اذا تتبعنا البحث
في أحوال اللغات من أسماها الى أدناها نرى مميزات المشتقات تقبل
فيها حتى تنتهي الى لغات لا أثر فيها للاشتقاق مطلقاً ومن هذه اللغات
ما لا فرق فيه ليس فقط بين الماضي والمضارع والمفرد والجمع والمذكر
والمؤنث بل لا دليل على وجود مميز بين الاسم والفعل والحرف كما مر
في غير هذا المقام

واللغة عند أول ارتقاها تأخذ في استعمال ما لديها من الالفاظ
لمعان تخطر للمتكلم ولم تكن في ذهنه من ذي قبل فيركب وينحت عن
غير قصد وينوع في اللفظ والمعنى وهو لا يدري . ولا ينتبه بعد زمن
الآن وقد توفر لديه من الفعل أنواعٌ ومن الاسم كذلك . وعلى هذا
النسق تولد الاشتقاق الفعلي فكان لنا منه اوزان عدة وكذلك التصريف
الاسمي فكان لنا به مميزات الجنس والعدد . والاختلاف الحاصل بين
اللغات المرتقية في كيفية هذا الاشتقاق ونوعه يويد ذلك . فان في
بعض هذه اللغات أزمنة فعلية لا أثر لها في البعض الآخر فهي في
اللغات الشرقية اثنان ماض ومضارع وفي اللغات الآرية نحو العشرة
وكل من هذه يختلف عن كل من ذينك الاثنين . أي ولو وجد زمن

ماض في الفرنسية او الانكليزية مثلاً لا يكور في كل طرق استعماله كالزم من الماضي في العربية تماماً . والعالم بشيء من احوال هذه اللغات يتأكد ذلك يقيناً . ثم ان من الصيغ الفعلية ما هو اساس هذه اللغة ومستغرب وورودها في غيرها فان صيغ المزيادات في العربية هي أصل المشتقات وعليها عمل عظيم في تنويع المعنى الاصلي اذ تكسبه خواص تختلف بين مبالغة وتعديدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يمكن التعبير عنه في اللغات الآرية الا بالفاظ خاصة ذات معانٍ مستقلة . فنحن نعبر عن حصول الضرب بين قوم على التبادل بقولنا « تضاربوا » ولا يكفي لتأدية هذا المعنى في اللغات الآرية أقل من اربع كلمات . فالانكليز يقولون بالمعنى عينه *they have beaten each other* والفرنساويون *ils se sont frappés* او *ils ont frappé les uns les autres* ولا يخفى ان اللغات السامية الاخرى تقرب من الآرية من هذا القبيل . وهكذا في ما بقي من صيغ المزيادات ونرى من الجهة الاخرى ان من أنواع الاشتقاق والتصريف في الطائفة الآرية ما تفضل به طائفتنا كالحاق بعض الادوات في أوائل الاصول أو أواخرها للتعبير عن تكرار الفعل أو نفيه أو غير ذلك مما لا يسعنا تأديته الا باضافة الفاظ مستقلة كقول الفرنسيين *venir* المجيء *revenir* المجيء ثانية *comprendre* الفهم و *malcomprendre* اساءة الفهم . وقول الانكليز *understood* فهم *misunderstood* ساء الفهم وهكذا في كثير مما لا يسعف المقام في استيفائه

والتصاريف الاسمية لا تقلُّ اختلافاً عن الفعلية وهي تقوم بتمييز الجنس والعدد والنسبة والتصغير . والجنس في اللغات السامية وبعض اللغات الاخرى نوعان فقط مذكر ومؤنث اما في اللاتينية واليونانية وغيرهما من الطائفة الآرية فثلاثة مذكر ومؤنث وجنس آخر يدعونه بلغتهم Neutrum . اما العدد فبالعكس فانه ثلاثة في العربية واخواتها وفي اليونانية أي مفرد ومثنى وجمع واثنان في معظم الطائفة الآرية أي مفرد وجمع . وزد على ذلك ان ما يعتبر في هذه اللغة مذكراً ربما اعتبر مؤنثاً في تلك وبالعكس فان لفظة « بيت » مثلاً مذكورة في العربية ومؤنثة في الفرنسية و Neutrum في الانكليزية

فما تقدم يتضح ان الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة وانهما يتبعان كل امة حسب بيئاتها . والاصل في دلالة الالفاظ ان تكون بسيطة ثم تتنوع دلالة وتتكاثر لفظاً بمقدار درجة ارتقاء تلك اللغة . فاذا صحت هذه المقدمة ينتج ان العربية من أرقى اللغات بياناً

اشتقاقات وتصاريف جديدة

والاشتقاق والتصريف دائماً التولد في اللغة ما دامت حية فالتأمل في لغة عامتنا مثلاً يرى هنالك مشتقات وتصاريف فعلية لم تكن في اللغة قبلاً أعني لم يتكلم بها العرب . منها قولهم « بعرف » بمعنى أعرف الآن وهي تدل على الحال ولا تتعداه فتخالف المضارع من هذا القبيل . ويتصرف مع هذه الباء أي فعل كان ويشترط ان يكون

على صيغة المضارع فتكسبه الدلالة الحالية فيقال « تعرف » للمتكلم و « بتعرف » للمخاطب و « يعترف » لغائب الخ . وهناك صيغة أخرى تفيد الحال مع الاستمرار كقولهم « عباكل » وهي تفيد قولنا « آخذ في الاكل على الاستمرار » ومركبة من الصيغة المتقدمة الذكر بالحاق « عم » في أولها وقد ينوعون هذه الاداة فيقولون « مناكل » ببدالها « من » وحذف الباء والمعنى واحد في كليهما اعني الحال المستمر . واهل العراق يقولون في هذا المعنى « قآكل » أو « قآكتب » واهل مراکش يقولون « كآكل » أو « كآكتب » ويستعمل المصريون بمعنى الاستقبال القريب قولهم « حاشرب » أي « سأشرب قريباً » ويصرفونها كما يتصرف المضارع مع سين الاستقبال فيقولون حاشرب . حنشرب . حيشرب . حتشرب .. الخ ويقول اهل مراکش بهذا المعنى « ماش اشرب » او غاد اشرب » ويصرفون الفعل معها مثل تصريفه مع الحاء

فاذا نظر اجنبي في هذه الصيغ المحدثه في لغة العامة وهو لا يعرف الا اللغة الفصحى فانه يحكم لاول وهلة ان الباء و « عم » و « من » و « الحاء » و « قا » و « كا » انما هي ادوات مثل احرف المضارعة وسين الاستقبال وما شاكل ولا يخطر له انها بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها . اما نحن الآن فنظراً لكثرة المواد العامية لدينا ولسهولة حصولنا على حلقات موصلة بين هذه البقايا وأصولها يسهل علينا استقراؤها وتتبعها الى تلك الاصول : فان عامة البيروتيين تقول

بمعنى الحال والاستمرار « عمّال آكل » وهي تؤدي معنى « عمّ آكل »
 او « منّا آكل » تماماً. وبالمقابلة يتأكد لدينا ان الاصل في هذه الاداة
 انما هو « عمّال » التي هي صيغة المبالغة من « عمل » والتقارب في المعنى
 واضح. فتأمل كيف تحولت « عمّال » الى « عمّ » وبالاخص الى « من »
 ومن اهل بغداد من يقول « قاعد آكل » بدلاً من « قا آكل »
 ومن اهل مراکش من يقول « كائن آكل » بدلاً من « كا آكل »
 فيستدل من ذلك ان « قا » أصلها « قاعد » و « كا » أصلها « كائن »

اما الحاء فتبعتها اصعب لاسيما لمن كان بالنسبة الى لغة عامتها
 مثلنا بالنسبة الى اللغة الفصحى وربما جزم باستحالتها غير متردد. لكننا
 من مقابلة لهجة المصريين بلهجة السوريين يتيسر لنا معرفة اصلها
 بسهولة لان البير وتين يقولون بمعنى الاستقبال القريب « رَحَّأشرب »
 أي سأشرب واللبنانيون يقولون « رايح أشرب » بالمعنى عينه فمن
 مقابلة هذه السلسلة « ح » ثم « رَح » ثم رايح » يتضح جلياً ان
 الاصل في هذه الحاء هو صيغة اسم الفاعل من فعل ذي معنى بنفسه
 هو « راح » أي مضى. واما « ماش » او « غاد » في لغة مراکش فواضح
 ان أصلهما « ماشي » و « غادي »

فلا غرو بعد ذلك اذا حتمنا ان أحرف الزيادة انما هي بقايا الفاظ
 مستقلة المعنى ولو لم يتيسر لنا تتبع جميعها الى أصولها
 اما الباء الدالة على الحال فالوصول الى أصلها عسرٌ وقد يتبادر الى
 الذهن انها بقية لفظ « بدّي » العامية ومعناها أريد وأصلها « بوّدي »

وقد سمعنا لبعضهم تعليلاً يجعلها منحوتة من « أبني » ولكنه لا يخلو من التكلف . على اننا نحكم قياساً ان هذه الباء بقية لفظة ذات معنى في نفسها ولو استحال علينا التوصل الى تلك اللفظة الآن على اننا لا نقنط من امكان استقراء قسم عظيم من هذه الاحرف فنبداً بالفعل :

مزيدات الافعال وتصاريقها

ان الاحرف المزيده في الفعل الثلاثي لتكوين صيغ المزيدات هي الهمزة في أفعلَ والالف في فاعلَ والتاء في تفعل وتفاعل والالف والتاء في افتعل والالف والنون في انفعل والالف والسين والتاء في استفعلَ

فالالف في « أفعلَ » وتكسب الفعل اللازم معنى التعدية يصعب تتبعها بدون تكلف فاضرب عنها صفحاً . اما الالف في فاعلَ وتفاعلَ فقد حصلت بمد حركة الفاء وربما قصد بذلك باديء بديء نوع من المبالغة لتوهم ذهني كما هو الحال في تضعيف عين « فعل » مما سيأتي في محل آخر . اما التاء في تفعل وتفاعل و « ات » في افتعل فتكسبان الفعل معنى المطاوعة الذي يلمح فيه شيء من معنى المجهول . والمشارك بينها جميعها التاء . ولكي نصل الى الحقيقة يقتضي لنا الاستفهام عن أصل هذه التاء وكيف تأتت لها هذه الخاصة . وعند البحث والمقابلة في اخوات العربية يظهر لنا انها بقية « ات » او ما يماثلها . وهي لفظة من الالفاظ المطلقة لم ترل مستعملة في العبرانية بمعنى « ذات » ولا تقع الا مفعولاً بها وهي في السريانية مد (يت) وفي العربية

« ذات » مركبة مع « ذا » الاشارية اما الاصل وحده فقد فقد من لغتنا على ما يظهر . وهذه اللفظة موجودة في سائر اللغات بمعنى الكون المطلق كما سيأتي في شرح القضايا التالية . اما المطاوعة التائية في العبرانية والسريانية فاقدر على تبين كونها هي اصل المطاوعة في العربية ايضاً اذ انها تكتب في كليهما ملحقة في أول الفعل . ففي السريانية **ܘܢܘܢܐ** (اتفعل) بزيادة « ات » المتقدم ذكرها على المجرد الثلاثي وفي العبرانية قلبت الهزة هاء فهم يقولون **התפעל** (هتفعل) فلنا الآن « اِفْتَعَلَ » و « اَتْفَعَلَ » و « هَتْفَعَلَ » بمعنى واحد وكلها تفيد المطاوعة . ونظراً لكون كل من « اَتْفَعَلَ » و « هَتْفَعَلَ » يقوم مقام « تَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ وَافْتَعَلَ » يرجح كل الترجيح ان الاداة المشتركة بينها جميعاً هي « ات » . اما من قبيل مطابقة الدلالة الحاصلة من مجموع دلالة « ات » و « فعل » دلالة اِفْتَعَلَ ورفيقاتها فواضح لانه قد تقدم ان هذه الاداة تفيد « الذات » فكأنهم أول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل فقالوا « ات قتل » بمعنى حصول القتل في نفس الفاعل وقد تنوع معناها بالاستعمال الى المطاوعة التي تقرب كثيراً من المجهول لانك تقول « جمعته فاجتمع » وبكثرة الاستعمال تولد التنوعان الاخران

أما من قبيل وضع التاء بعد الفاء في « اِفْتَعَلَ » فيرد الى ناموس القلب بسهولة . على ان بعض أهل مصر ينطقون بها كما في السريانية فيقولون « اِتْجَمَعَ » في اجتمع و « اِتْرَفَتْ » في ارتفت . واغرب من

ذلك استعمالهم هذه الصيغة بدلاً من انفعال ايضاً فيقولون « اتكسر »
 بالتاء عوضاً من « انكسر » بالنون و« اتقطع » في اتقطع . وهذه الامثال
 كثيرة الورد بينهم بحيث يكاد يقال انهم اُبطلوا صيغة انفعال وافتعل
 وابدلوهما بافتعل وكل ذلك من كلام عامتهم

أما الالف والنون في « انفعال » فاما ان تكون « ات » بعد
 الابدال كما سبقت الاشارة لتقارب المعنى بين انفعال وافتعل ولكون
 الصيغة الاولى لا وجود لها في السريانية فتنب عنها الثانية . او انها
 بقية « نفس » التي هي بمعنى « ات » تماماً وهي في العبرانية والسريانية
 دعه « نفس » فما المانع من حصول النحت فيها بحيث خسرت حرفها
 الاخيرين ويؤيد ذلك ان هذه الصيغة في العبرانية هي *נפעל* « نفعال »
 بمعنى المجهول تماماً فربما قصدوا بها ما قصدوا بسابقتها . ولا عبرة في
 الهمزة الزائدة في انفعال

واستفعل مزيد فيها « است » وهي تؤثر في معناها على كيفيات
 مختلفة ترد الى الطلب والميل وعند ذلك يلزمنا البحث عن كيفية
 حصول هذه الاحرف على هذه الخاصية . وبالمقابلة يلوح لنا انها بقية
 فعل فُقد من العربية وحفظ في السريانية بمعنى مال وهو *ספא* « سطا »
 حيث قلبت التاء طاءً فهم يقصدون بقولهم « استقتل » مال الى القتل
 أو أحب القتل وفي « استغفر » طلب الغفران وقس عليه . ومما
 لا بأس من ذكره ان « است » في التركية تفيد الارادة والطلب
 والسؤال والرجاء والرغبة والارتغاب

وليست هذه كل مزيدات الافعال في العربية وانما هي ما غلب استعماله منها وهناك مزيدات كثيرة أهملت فاندثرت ومنها ما لم يبق منها الا أمثلة قليلة حفظت في بعض المظان وهي نادرة . فمن مزيدات الثلاثي المهملة مما زيد فيه حرف واحد ما هو على وزن « تفعل » مثل ترمس وترفل او « نفعل » مثل نرجس و « هفعل » مثل هلقم وهذا لا يزال شائعاً في العبرانية و « سفعل » مثل سنبس بمعنى نبس . و « مفعل » مثل مرحب بمعنى رحب و « فيعل » مثل يبصل و « فوعل » كحوقل وهاتان الصيغتان شائعتان على السنة عامتنا الى اليوم مثل قولهم طيلق وطيلع ويسع وقيعد وخوطر وزوبن وعورض ودوقر - او على وزن « فاعل » مثل تأبل و « فنعل » كفرنص وغيرها . ومما زيد فيه « ثلاثة » أحرف افعول كاعلوط و « افعول » وغيرها . وقد أورد صاحب المزهرة أمثلة كثيرة منها - ومن المزيدات التي حدثت في اللغة العربية بعد جمعها « تمفعل » مثل قولهم « تمعزز » و « تمخطر »

ومما يزداد ايضاً في الافعال نون التوكيد وهي تفيد تأكيد الطلب أو التمني وبعد البحث يظهر انها بقية لفظة بمعنى « هلم او ليت » حفظت في سائر اللغات السامية الا العربية فهي في العبرانية נא « نا » تستعمل للطلب والتمني فيقولون נא-נא « شب نا » ارجو ان تجلس او ليتك تجلس . وفي السريانية نא « نا » او נא « ني » وهي تُعد عندهم من الالفاظ المهملة ومنهم من يخطئون فهمها . وفي السامرية « نا » او

«ني» وفي الحبشية تكتب «نع» وتلفظ قريبة من «نا» وهي تتصرف عند الحبشيين ويقصدون بها ما تقصد بقولنا «هلم». والغالب ان هذه اللفظة مأخوذة من أصل يدل على حدث لم يعد مميزاً في اللغات الشرقية اما في المصرية القديمة فلنا na تفيد المجيء، ويرجح ان هذه الدلالة هي الاصل في الجميع. اذ ان هذه التنوعات مهما تعددت لفظاً ومعنى ترد بسهولة اليها لان التوكيد في العربية يستعمل للامر والنهي والاستفهام والترجي والعرض والتحضيض والتمني والقسم وجميعها راجع الى تأكيد الطلب والتمني ويجمعها قولك «هلم» وهذه تقرب معنى «ن» «جا» على صيغة الانشاء فقولنا «هلم نذهب» يضاوي قولنا «تعالوا نذهب» فكان العبرانيين يقصدون بقولهم «شب نا» تعال اجلس او هلم اجلس. ويقصد العرب بقولهم «قو من» هلم قم او تعال قم. اما التشديد فعارض على النون كما عرض في ان وأخواتها وكما سترى عند الكلام على المضاعف

ومن اشتقاقات الفعل ايضاً اسم المفعول والفاعل واسم الآلة وجميعها الاثلاثي المجرد يصاغ بزيادة ميم في اوله والاصل في هذه الميم على ما يظهر الدلالة الموصولية في قولنا «مكرم» نقصد الذي يكرم او من يكرم وفي «مكرم» نقصد الذي يكرم او من يكرم. فنستدل ان هذه الميم هي بقية «من» او «ما» الموصولتين لانها كثيراً ما وردت في العبرانية متصلة بالافعال مجردة من النون. ويؤيد ذلك تطابقها لتلك الميم لفظاً ومعنى بحيث يمكنها القيام مقامها تماماً فان

« ملقط » و « ما يلقط » بمعنى واحد . ثم ان اسم الزمان والمكان
يحملان على هذا التأويل مجازاً . اما اسم الفاعل والمفعول في الثلاثي
المجرد فخالصان في الغالب بمد احدى حركات الاصل

ومن المشتقات الفعلية المضارع وهو يصاغ باضافة احد احرف
المضارعة (الالف والنون والياء والتاء) في أول الماضي . وما هذه
الاحرف الا بقايا الضمائر المنفصلة اذ ان الالف والنون من مختصات
المتكلم على اطلاقه والياء للغائب والتاء للمخاطب كما سيأتي في باب
الالفاظ المطلقة وهي تقابل ضمائر الرفع المتصلة التي نحتت في الاصل
من الضمائر المنفصلة

ورب قائل يقول كيف تفيد هذه الاحرف المضارع اذا ألحقت
في أول الفعل والماضي اذا ألحقت في آخره فالجواب ان اللغة في بادى
أمرها لم يكن فيها مشتقات فعلية ماض او مضارع فكانت لفظة
« ذهب » مثلاً تفيد مطلق الذهاب غير مقترن بزمان فاذا أراد المتكلم
الدلالة على ان الذهاب حدث في زمن مضى ذكر اولاً الفعل ثم
الضمير . فيقول مثلاً للمخاطب « ذهب انت » فكأنه بتقديمه الفعل
لفظاً يشير الى تقدم حدوثه معنى . وبالعكس ذلك متى اراد الاستقبال
فانه كان يقدم الضمير فيقول « انت ذهب » مؤخراً الفعل بالوضع
بناءً على تأخره في الحدوث . ثم خسرت الضمائر بعض اجزائها بالنحت
لتخفيف اللفظ فوصلت الينا على ما نشاهدها وقد جرى ما يماثل ذلك

في صدر الاسلام فان بعض القبائل كانوا يقولون « أن فعلت » بدلا من « انا فعلت » ويشهد بان احرف المضارعة هي في الاصل ضمائر حالة اللغات الاخرى المرتقية حيث يقوم فيها الضمير المنفصل مقام حرف المضارعة عندنا . فالاصل الدال على الذهاب في الانكليزية مثلا Go فيصاغ منه الحال باضافة الضمير المنفصل في اوله فنقول في اذهب I go ومفادها حرفياً « انا اذهب » وفي تذهب you go ومفادها حرفياً « انت اذهب » وهكذا في كثير من اللغات

ومن هذا القبيل أيضاً صيغ الاسماء فانها كثيرة في العربية وما أهمل منها اكثر مما بقي . فقد ذكر صاحب المزهرة بضع عشرة صيغة مما أهمل او بطل استعماله مثل فعالل ففوعل وفيعل وفوعل وفوعال وفعلليل وفنعلليل ويفعول وتففعول وغيرها . وبعض هذه الصيغ مألوف الى الآن في أخوات العربية وبعض المألوف منها في هذه مهجور في تلك

على ان صيغ الاسماء لا تزال تتجدد بتوالي الازمان لتعويض عما اندثر شأن الاجسام الحية النامية . فمن الصيغ التي حدثت في العربية وهي شائعة على السنة عامة الشام « فعول » و « فعولة » للتصغير او التجبب او لها معاً مثل قولهم في نصر الله « نصوّر » وفي نعمان « نعوم » وفي عائشة « عيوشة » وفي أمينة « امؤنة » وكلها للتجبب ومثل قولهم في سيف « سيوف » فانها للتصغير وعندهم صيغة لتصغير التصغير على وزن « فعولاية » فيقولان في « سيوف » « سيوفاية »

اللاتينية و aw السنسكريتية وجميعها بمعنى « مال الى ». وترى في الامثلة المتقدمة ان الالف والواو فقدتا بالنحت لكنهما قد تظهران احياناً كما في حي وحيوي . ومن التصاريف الاسمية التصغير ويصعب علينا تعليقه الا ان نعدّه صيغة من صيغ الاسم تكسبه معنى التصغير نحو ما تكسبه اياه صيغة فعول العامية المتقدم ذكرها - ومما يشترك بين الافعال والاسماء من الزيادات مميّز الجنس والعدد

اما ﴿ مميّز الجنس ﴾ فليس أصلياً في اللغة والدليل على ذلك انه يقلّ في بعض اللغات ولا وجود له في البعض الآخر : قلنا في ما تقدم ان اللغات الدنيا هي في الغالب خالية من مثل هذا المميّز . ونقول الآن ان بعض اللغات الآرية يميّز فيها المؤنث من المذكر باضافة الفاظ مستقلة ذات معنى في نفسها الى اصل مشترك الدلالة يقابل اسم الجنس عندنا . ففي الانكليزية goat ماعز يقصدون بها المذكر اعتيادياً فاذا أرادوا التميّز ودفع الالتباس اضافوا اليها ما يميّزها من الضمائر فيقال he goat للمذكر و she goat للمؤنث . وقد يحصل هذا التميّز باضافة كلمة « رجل » او « امرأة » فعندهم cook تفيد قولنا « طبّاخ » فيقولون لرفع الالتباس a man cook رجل طبّاخ و a woman cook امرأة « طبّاخ » وقد يحصل التميّز باضافة لفظة ديك او دجاجة الى الاسم المشترك فيقولون cock sparrow مفاذه حُرفياً « ديك دوري » ويقصدون به « عصفور دوري » و hen sparrow دجاجة دوري يقصدون بها « عصفورة دورية » . والانكليزية لا يميّز

للجنس او العدد في نعوت لغتهم مطلقاً فيقولون good man رجل صالح good woman امرأة صالحة good men رجال صالحون good women نساء صالحات . وهذا النقص في الانكليزية محدود (في الاسماء) اما في الفارسية فعامٌ في جميع اسمائها فلا يتميز الجنس فيها الا باضافة كلمة مستقلة المعنى فيقولون « شير » اسد وهو اسم جنس فاذا أرادوا الذكر قالوا « شير نَرُ » أي اسد ذكر او المؤنث قالوا « شير مادَه » اسد انثى ويقصدون بها لبؤة . وهكذا في كثير من اللغات الطورانية فان في التركية يقال (كما في الفارسية) « قيون » اسم جنس الغنم فاذا أرادوا خروف قالوا « اركك قيون » ذكر غنم . او غنمة قالوا « ديشي قيون » أي انثى غنم . وفي بعض المسميات البشرية يزيدون كلمة « قزُ » (ابنة) على المذكر فيصير مؤنثاً فمن « قرنداش » اخ عندهم « قزُ قرنداش » اخت ومن « اوغلان » غلام « قز اوغلان » صبوية

اما في معظم اللغات المرتقمة فيمير المؤنث من المذكر بحركة تجعل في أواخر الاسم او الفعل وهي من الفتحة فادون حتى الكسرة فهي في اللاتينية واليونانية « a » او « e » وفي الفرنسية « e » وفي المصرية القديمة والاشورية الفتحة او الكسرة وفي العبرانية الفتحة مسندة بالهاء . وفي السريانية الفتحة مسندة بالالف وفي العربية الفتحة مسندة بالتاء التي تعود هاء عند الوقف . ومن الجهة الاخرى تبدل الهاء العبرانية تاءً عند التحرك فنحن نقول من قتل « قتلت »

للمؤنث وهكذا السريان صححهم اما العبرانيون فيقولون כחלה
(قتله) بالهاء فاذا اقتضت العوامل تحريكها قلبت تاء

فبناءً عليه يرجح ان علامة التأنيث ليست الا حركة وضعت
طبقاً لصورة ذهنية شاهدة بمناسبة هذه الحركة لدالاتها. ويؤيد
ذلك اتفاق وجودها في اكثر اللغات على السواء. على ان القياس
يقضي كونها بقية لفظة تفيد قولنا « انثى » والله اعلم

و﴿ ميم العدد ﴾ حادث في اللغات ايضاً لاختلاف درجات
هذا التمييز باختلاف اللغة. وتكلم عن ميم الجمع لان المثني فرع منه
فيظهر من المقابلة ان علامة الجمع واحدة في سائر اللغات الشرقية
اسمائها وأفعالها. ففي العربية النون في الاسماء والافعال الخمسة والميم
في الضمائر. وفي العبرانية الميم في الجميع لكنها وردت مراراً عديدة
مبدلة بالنون. وفي السريانية النون في الجميع ولم ترد ميماً على الاطلاق
وعندما نتذكر قابلية التبادل بين الميم والنون يسهل علينا الحكم بوحدة
أصلها في الجميع. والنون علامة الجمع في اللغات الهندية وما ينتمي اليها
كالفارسية والامانية والاوردية

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ان الميم في العربية تلحق بأواخر
الاسماء للتعظيم فيقال « رجل بحرم » أي بحر كبير. وترى بين دلالة
هذه الميم وميم الجمع علاقة عظيمة بحيث يكاد يثبت ان كليهما واحد
لان للتعظيم والكثرة صورتين متقاربتين الشكل في ذهننا. على اننا
بعد كل ذلك لانجو من السؤال عن كيفية حصول هذه الميم على

هذه الخاصة فيتبادر الى ذهننا انها بقية كلمة اتفق وجودها في جميع اللغات السامية والمصرية هي «يم» بمعنى نهر كبير او بحر فمن وجودها في جميع هذه اللغات يستدل على قدم عهدها وربما كانت حكاية صوت المياه اذا جرت بغزارة فتوهموا فيها معنى الكثرة

وسواء استطعنا تتبع جميع هذه الالفاظ الى أصلها او لا ومهما يكن في تعليلنا من الغرابة والتكلف فذلك لا يمنع استدلال العقل بهذه الامثلة القليلة حتى يحكم بالقياس على سائر اللغات واعتماداً على ما للاحوال من التأثير في الالفاظ وكيف انها فاعلة عليها دواماً فتنوعها إفظاً ومعنى بين نحت وابدال وقلب

ونظن ما ذكرناه كافياً لاثبات القضية الثانية ونضرب صفحاً عن أبحاث اخرى مطولة تتعلق بأوزان جمع التكسير وحركات الاعراب وأسباب المنع من الصرف وغير ذلك من الاشتقاقات والتصارييف التي يقتضي لها بحث أدق وزمن أطول ومقام أرحب

ومما لا بدّ من ذكره ان معظم هذه الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها قد تولدت في اللغة قبل ان بوشر في جمعها بأزمان لا يعرف مقدارها والارجح انها تولدت في جميع اللغات السامية وهي في مهد أمها اي قبل ان قضي عليها بالتشئت والتنوع ودليلنا على ذلك ما بينها من المشابهة كما مرّ

القضية الثالثة

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقرار
الى اصول ثنائية (احادية المقطع) تحاكي اصواتاً طبيعية

تشمّل هذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها
واللاغويون يردون كلاً من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية
وبعضها رباعية ولا يرون هذه الاصول قابلة للرد الى أقل من ذلك وعندني
انها قابلة ولو بعد العناء

فالالفاظ او بحسب زعمهم الاصول الرباعية قد أجمعوا مؤخرًا
على انها ثلاثية مزيد فيها . وهذه الزيادة اما قياسية فتكون سينًا او
شينًا في اول الكلمة والمزيدات تكون على وزن سَفْعَلٍ او شَفْعَلٍ
وهذا الوزن من جملة مزيدات الثلاثي في اللغات الشرقية لكنه أهمل
في لغتنا وما ورد منه عدوهُ رباعياً مجرداً . واما السريانية فحفظته كباقي
المزيدات وهو كثير الورد فيها ونادر في العبرانية . فن الالفاظ التي
وردت على هذا الوزن عندنا قولهم « سقلبه » اي صرعه من قلبه
و « سلفقه » بمعنى ابتلعه من لغفه . و « سملج » اي جرع جرعا
سهلاً من ملبج الصبيّ امه تناول ثديها بأذني فه فرضع . و « شبرق »
ملموح فيه معنى برق . ومن هذه الصيغة ما تستعمله العامة ولا اثر
له في كتب اللغة كقولهم « سمد » بمعنى مهد و « شلهب » بمعنى

لهب وغير ذلك . ومن الرباعي المتبداً بسين او شين اسماء كثيرة
جميعها تتضمن معنى الطول والسعة

وقد تحصل هذه الزيادة بمضاعفة حرف او اكثر من الاحرف
الاصلية كجلبب وبلبل وقصقص وقطقط وصلصلق وما شا كل .
او أن تكون حرفاً دخيلاً وهو في الغالب احد هذه الاربعة
« ل م ن ر » فيكون في اول الكلمة كما في نبذر بمعنى بذر ولهذا
كهذم بمعنى القطع وحدثر من حدثر وغيرها . او في وسطها كسطح من
سطح اي اتسع وسحف من زحف أو سحف برعط من ببط وخرمش
من خمش وشربك وشنبك من شبك وشمرك من شرق ويقال فقع
أصابه وفرقعا . او في آخرها كقولهم الفعمل (الملائن) من فعم
وبحتر بمعنى بحث وبعثر بمعنى بعث وسحفر اي مضى مسرعاً من سحف
التي حفظت في زحف . وقطعن وقطعر من قطع وقس عليه . وقد تكون
الزيادة على طرق أخرى لكنها لا تخرج بالحقبة عن هذه الا فيما هو
اجنبي ك بعض الكلمات الفارسية ولا ضابط لها (منها الطست والخوان
والسكرجة والجزذجاج من الفارسية واكسيد والميكروسكوب
والتلسكوب وأسماء أخرى علمية من اليونانية واللاتينية) وبعض
ما كان على وزن فعلمن هو من السريانية او العبرانية مأخوذة عن صفة
كشيطان من شيطان وقطرن من قطران وعربن من عربون وقد
يصاغ الرباعي من الفاظ اعجمية تعربت مثل « دولاب » فانها كلمة

فارسية مركبة من « دول » دلو و « آب » ماء ويريدون بها المنجنون التي تديرها الدابة ليستقي بها بما يشبه الساقية عندنا فشق المولدون منها فعلاً رباعياً فقالوا « دَوْلَبَ فلاناً » اي دَوَّرَهُ الى مراده وقس على ذلك
 * والاصول الثلاثة * هي الاكثر في اللغة فلذا كان للبحث فيها اهمية كبرى . وقد تبين مما تقدم ان الاصول الرباعية مزيدة والاصل فيها ثلاثي وأقول ان الثلاثي أيضاً مزيد والاصل فيه ثنائي غالباً وايضاحاً لذلك اقسام الأدلة الى قسمين

أولاً : استقراء الفاظ اللغة العربية ومقابلتها
 ويفيد غالباً في الاصول الفعلية

يرى الباحث في دلالة الفاظ العربية المدعوة مجردة ان للمعنى الواحد الفاظاً عديدة تتقارب لفظاً ويمكن تقسيم الفاظ المعنى الواحد الى مجموعات تشترك الفاظ كل مجموع منها بحرفين هما الاصل المتضمن المعنى الاصلي . والزيادة ربما نوعته تنويعاً طفيفاً مثاله : قطّ وقطبّ وقطفّ وقطعّ وقطمّ وقطلّ جميعها تتضمن معنى القطع الا ان كل واحدة منها استعملت لتنوع من تنوعاته فالثاني والثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع والخامس العض والسادس الشدة والاصل المشترك بينها قط وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى . ويجانس قط قص ومنها قصمّ وقصلّ وقصبّ وقصرّ وقصفّ وقصا جميعها تفيد القطع . ويجانس قص قص ومنها قضّ وقاضّ وقضمّ وقضبّ وقضع . ويجانس قص كسّ ومنها كسّ وكسرّ وكسعّ وكسمّ والاولى والاخيرة من هذه

السلسلة تتضمن معنى الدق والفت ويجانس قص ايضاً جذاً ومنها جذاً
وجذب « يقال جذب الريق اذا انتطع » وجذرَ وجذف وجذمَ وكلها
بمعنى قطع ويجانس جذ جز وهذه حكاية صوت المقص اذا جزَّ شعراً
او صوفاً ومنه جزَّ وجزأ وجزر وجزع وجزح وجزل وجزمَ وجميعها
من باب القطع . وتنوعات هذا المعنى تفوق المئات عدداً وقد تصرفوا
في استعمالها على طرق مختلفة حذيفةً ومجازاً وكلها ترد بالاستقرار الى
اصل واحد هو حكاية صوت كما رأيت . وهكذا الحال في القسم
الاعظم من كلمات اللغة فمن هب بمعنى ثار او هاج لناهبً وهبج
ضرب شديداً وهبذ عدا واسرع في المشي وهبش بمعنى هبج وهبص
الرجل نشط وعجل وقلق واخيراً هبا الفرس فرّ . فترى ان جميعها
يتضمن معنى ثار او هاج . و« هب » هي حكاية صوت اللهب اذا
نفخته الريح . ولنا بمعنى الدق والشدات ولتب الناقة في انفها طعنها
ولتجه ضربه ولتبخ مثل لطح والشيء شقه ولتده اي لكزه وهكذا
لتزه ولتفه ولتمه كلها بمعنى الضرب والاصل المشترك بينها لت
ويجانسه لطاً ومنها لطاً اي لزم وكتم والباب اغلقه والشيء به لصقه
ولطأه اي ضربه على ظهره ولطأ بالارض لصق بها ولطئه ضربه وهكذا
لطح ولطح ولطس ولطش ولطع ولطم ولطه وجميعها تنوعات معنى
واحد . ولنا بمعنى الطلاقة واللطف والانبساط بس وبسأ وبسم وبسط
وبسل وبسن اي حسنت مسحته وكلها ترد الى معنى واحد ومقطع
واحد هو بس وربما كان الاصل فيه بش وهو من الاصوات التي ينطق

بها الانسان غريزياً عند الاستحسان كما لا يخفى . ولنا بمعنى التتوء
والبروز نبّ ونبت ونبث بمعنى حفر وكذلك نبش ونبج ونبذ ونبز
ونبط ونبض ونبع ونبق ونبه « بمعنى اشهر بالشرف » ونبأ وجميعها
تفيد التتوء والبروز والاخراج اما نبّ فقد جاء في حديث الجدود
يعمد أحدهم اذا غزا الناس فينب كنيب التيس وقال في النهاية النيب
صوت التيس عند الفساد . والتفّ والتفتّ وسخ الاظفر ويقاربه
تفّ وتفلّ بصق وجميعها تشترك بمقطع « تفّ » وهو من الاصوات
التي ينطق بها الانسان غريزياً عند القرف ومنها ايضاً التفن اي
الوسخ وتفّه قلّ وخس . ومن ضروب الفتح لنا فقّ وققاً وققح وقرر
وققص وققش وققس والعامّة تقول فقع وجميعها تردّ الى فق وهذه
حكاية صوت القرية اذا شقت وهي ملائمة او ما شا كل

فترى في ما تقدم من الامثال أن الحرف المزيد واقع في آخر
الكلمة وهذا هو الاغلب الا انه قد يكون في الوسط أي بين الحرفين
الاصليين كشلق من شق وفرق من فق وقرط من قط وقرص من
قص وقرض من قض وشرق من شق ايضاً ولحس ولسع ولهس من
لس . ويجانس فق بف ومنها برق وبعق . ولهط من لط بمعنى ضرب
وقد يكون في أول الكلمة نحو رفت من فت ولهب من هب
ورفض من فض ولس من مس وفتح وفتح من طح ونذل من ذل
وغلف من لف وقس عليها مما لا يسف المقام في استيفائه . وسيأتي
شرح ذلك باكثر ايضاح فيما بعد

كيف حصلت هذه التنوعات

كل من هذه التنوعات اما أن يكون حاصلًا من تركيب اصلين
 اكل منهما معنى في نفسه أو لا فاذا كان الاول كان حصوله على
 طرق - منها النحت اي ادغام كلمتين فاكثر الى كلمة واحدة كما مرَّ
 وهذا رأي بعض اللغويين في الرباعي ولا نرى مانعًا من اطلاقه على
 الثلاثي ايضًا لان بعض الافعال الثلاثية تقبل الحل الى اصلين لكل
 منهما معنى في نفسه نحو قطف ويفيد القطف والجمع والاصل فيه على
 ما أرى « قطف » الاولى قطع والثانية جمع وبالاستعمال أهملت
 اللام ونقلت حركتها الى ما قبلها فصارت قطف . و « قش » اي
 جمع ما على الارض من الفتات فانها ترد الى اصلين قم وقش الاول
 بمعنى كنس والثاني جمع . فكانوا اذا أرادوا كنس شيء ما وجمعه
 قالوا « قم قش » وبالتخفيف أغيت القاف الوسطى فقييل قش .
 وهكذا في بعب فانها ترد الى « بع بعب » ومثل ذلك كثير في
 الالفاظ الثلاثية وان استبعد بعضهم هذا التعليل فهو غير مستبعد عند
 من له شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال
 والنحت . وزد على ذلك ان من يسلم بإمكان حدوثه في الرباعي بنحت
 اربع او خمس كلمات الى كلمة واحدة كقولهم بسمَل « قال باسم الله »
 وسبجل « قال سبحان الله » وهيلل « لا اله الا الله » وحوقل
 « لا حول ولا قوة الا بالله » وحمدل « قال الحمد لله » وحيعل « قال

حي على الصلاة حي على الفلاح» وطلبق «قال اطال الله بقاءك»
 وجعلف «قال جعلت فداك» ودمعز «ادام الله عزك» لا يستبعد
 حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل

أو يتم بواسطة الترقيم أي إهمال القسم الأخير من الكلمة
 تفنناً في اللفظ كقولهم «يا أبا الحكا» في «يا أبا الحكم» وأمثال
 الترقيم كثيرة في العربية منها قولهم احتسى في احتسب وتجمي في
 تجمع وتجمي في تجنب وشجا في شجب وباهاه في باهجه واعتسى في
 اعتمد وتقي في تقنع واحتفي في احتفل وفصا في فصل ووصى في وصل
 وتمطى في تمطط وتعصى في تعضض وتدل في تدلدل وتطلى في تطلطل
 والسادى في السادس وغيره مما يضيق عنه المقام . وعامة الشام يقولون
 «تعا» في تعال . فهل يعد تركيب اصلين ثنائيين وتحولهما معاً الى
 اصل واحدٍ ثلاثي على طريق الترقيم

وإذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه فلا يخلو أن يكون
 لاحدهما أو لا فإن كان الأول كان أحد اللفظين فعلاً والآخر حرفاً
 زيد اعتباراً . وهو في الغالب أحد هذه «ل م ن ر» وربما توهم الواضع
 في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة أو تنويع الفعل بما يطابق قصده نحو
 فض ورفض وهب وهب وشق وشلق وكن وسكن وربما كانت
 هذه مزيدة سابقتها على نحو ما تقدم في صيغة سفعل وقس عليه . أما
 المضاعف والاجوف والناقض فتولدها أقرب من الجميع إذ لا فرق
 بينها وبين الاصل إلا بمقدار الصوت لا بنوعه وسيجيء تفصيل ذلك .

وإذا لم يكن لاحدهما معنى في نفسه أي ان لا يكون اسماً ولا فعلاً فلا يخلو ان يكون حرفاً وربما كان اسماً أو فعلاً في الاصل ولم يعد مميزاً الآن . ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات العربية تقدمها مثلاً : من ينظر في لفظة « مال » بمعنى مقتنيات لا يخطر له إلا أنها اصل مستقل ولكنها في الواقع مركبة من « ما » الموصولة ولام الاضافة فكانوا يريدون بقولهم « مالك » الذي لك أي مالك ومقتنياتك . ولكثرة الاستعمال أصبحت كأنها كلمة واحدة كما حدث في « اشعل . . » العبرانية فتحولت الى « شل » وقد خصت « مال » الآن بالدلالة على نوع النقود من المقتنيات على حين انها قد تستعمل بمعنى « شل » العبرانية أي « خاصة » وقد صرفوا هذه اللفظة وشقوا منها مشتقات عدة فقالوا ماله يموله مولاً اعطاه المال . ومال صار ذا مال وهكذا موله صيره ذا مال واماله اعطاه المال وتمول الرجل كثر ماله . ويقولون رجل مال أي متمول معط ولا يبعد ان يكون مال يميل مأخوذ عنه فان الاصل في مؤدى هذه أحب ورغب والمال أحب ما لدى الانسان . وهكذا اذا بحثنا عن « نور » أو « نار » فاننا نراها مركبة من أصلين فهي في العبرانية « أور » وفي الاشورية « آر » ولنا في العربية ما يدل على سابق وجودها على هذه الصورة فاننا نقول استأور فلان أي عجل في الظلمة وهي على صيغة استفعال مصاغة من اصل ربما كان « آر » ونظراً لدلالة هذه الصيغة على الطلب والرغبة يرجح أن قصدهم باستأور فلان في الظلمة انه اسرع يطلب النور . ولنا ايضاً « الأوار » حر

الشمس والنار ومنها مجازاً العطش والدخان والهب والجنوب جمعها « اور » ومن ذلك قولهم « الآر » اي العار . وربما كان الاصل في هذه اللفظة حكاية الصوت الطبيعي الذي يخرج به الانسان اذا لدغته النار . اما النون فلما ان تكون بقية كلمة ذات معنى او انها لا معنى لها ألحقت باعتباراً من قبيل ما تقدم

وكذلك « ويل » فانها مؤلفة من « وَيْ » لفظ تأوّه وهو من الاصوات الطبيعية ولا م الاضافة والدليل على ذلك ان ما نبر عنه بقولنا « ويلي » كان « ويل » كلمة واحدة يعبر عنه العبرانيون والسريانيون بقولهم « وَيْ لي » وقد وردت « وَيْ » وحدها مراراً في العربية كقولهم « ويك » وما شا كل . ومع ذلك تراهم قد جمعوا لفظة « ويل » وصرفوها على المزيادات فقالوا ويل وتويل وتوايل واستعملوها اسماً لوادٍ في جهنم وشقوا منه مرة فقالوا ويلة ويقصدون بها فضيحة . وزد على ذلك انهم ركبوا من « وَيْ » عدة كلمات منها ويح وويب وربما كان اصلها « وى اب » للاستغانة به وويح ربما من « وى » اخ وويس وويه . ولم يكتفوا بذلك بل ركبوا من « ويل » قولهم « ويلمه » بمعنى دام فيقولون لمن عرف بالدهاء « ويلمه » وهي منجونة من وى لومه او ويل لومه . فتأمل

وهكذا يقال في الفعل الناقص « ليس » الذي هو بحسب الظاهر أصل مستقل فانه مركب من « لا » حرف نفي و « آيس » الدال على الكون المطلق فادغمتماعاً وكوتنا كلمة واحدة كما رأيت . وهذا الاصل

« أيس » الدال على الكون المطلق واحد في أكثر اللغات المرتقية
 لا سيما القديمة ففي العبرانية « يش » وفي السريانية ܝܫ « إيت » وفي
 اللاتينية والسكسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن est وقد تركبت
 « إيت » السريانية مع « لا » النافية فكونت حملا (ليت) لنفي الكون
 المطلق مثل « ليس » وهي تذكرنا بالحرف المشبه بليس أعني به « لات »
 ولا يخفى ان « ليس » من الافعال الناقصة فالظاهر انها كانت تكتب
 « لا أيس » ولا تستعمل إلا منفية كما تكتب اخواتها ما دام وما برح
 وما انفك وما زال الخ وللكثرة الاستعمال خففت . وبناء عليه كان
 يخشى ادغام هذه الافعال او نحتها الى كلمة واحدة لو لم تكن اللغة
 مدونة ومضبوطة . ويقال نحو ذلك في لشا يلشواشوا اي خس بعد
 رفعة فانها منحوتة من « لا شيء » ويوضح اصلها من مزيداتها فيقال
 لاشاه ملاشاة فتلاشي تلاشيا ضمحله وصيره الى العدم . والعامية تقول
 تلاشي المريض اي انحطت قوته وقارب الوفاة . اما قولهم « لشا »
 بمعنى خس فيذكرنا بقول الفرنسيين بهذا المعنى تماما lache

وكثيراً ما تتكون افعال من نحت بعض الجمل الندائية كقول
 العامة « ما تيا لله » بمعنى « لماذا لا تمشي » والاصل فيها « يا الله »
 يقولونها عند الابتداء بالعمل ثم صاغوا منها فعلاً لنحو هذا المعنى
 ولكنه لا يزال في اول تولده فلم يتكون منه غير هذه الصيغة . هذا ما
 وصلنا اليه على طريق مقابلة الفاظ اللغة فلننظر في القسم الثاني من الادلة

ثانياً - استقراء بعض احوال اللغات الاجنبية
وحملها بقياس التمثيل على لغتنا

جُمعت اللغة العربية بعد الاسلام بقليل . وأقدم ما لدينا من
الكتابات هو القرآن . وقد وصل اليها بعض الاشعار المنظومة قبل
ذلك الحين بزمن يسير ولا فرق بينها وبين اللغة المجموعة بما يستحق
الذكر . وخلاصة القول ان العربية يوم جُمعت كانت على جانب عظيم
من الارتقاء والتهذيب وقد أُجبر المتكلمون بها على المحافظة على نسقها
محافظة تامة بحيث ان اللغة الكتابية اليوم تكاد تكون مثل لغة
العرب قبل الاسلام على اننا لولا محافظتنا على كتب اللغة كما سبقت
الاشارة اي لو اتبع كل جيل اصطلاحات اهله لأمست اللغة العربية
الفصحى لدينا الآن لغة غريبة لا نفهمها ولتنوعت وتعددت لغات
الكتابة اكثر كثيراً مما هو الواقع في لغة التكلم ولتعذر على السوريين
فهم كتابة المصريين والمصريين كتابة المغاربة وبالعكس وبعبارة
أخرى لتفرعت اللغة العربية فروعاً مختلف بعضها عن بعض اختلافاً
لا يقل عما بين فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية والاطليانية
والاسبانية والسويدية وغيرها) ولاضطررنا في فهم كتابة اسلافنا
وزملائنا لدرس اللغة العربية القديمة وفروعها الحديثة كما هو الحال
في فروع اللغة اللاتينية . فبناءً على ما تقدم ليس لدينا من المواد
ما يعيننا في تتبع اصل الفاظ لغتنا كما يرام فعسى ان ينجلي لنا ذلك من
النظر الى اللغات الاخرى

معلوم ان اللغة تكون في اول نشأتها وأبسط احوالها مؤلفة من الفاظ قليلة العدد كافية لتفاهم المتكلمين بها بالنسبة لبساطة احتياجاتهم فاذا ارتقت احوالهم واحتاجوا الى كلمات جديدة يعبرون بها عن معانٍ لم تكن في ذهنهم من ذي قبل ركبوا من الكلمات التي لديهم ما يسد عوزهم . وقد يسلكون في ذلك مسلكاً آخر . فان سكان المكسيك القدماء لما رأوا السفينة لأول مرة ولم يكونوا يعرفونها قبلاً ولم يكن لها في لغتهم اسم دعوها « اكلي » اي بيت مائي . واهل ميسوري لم يكن عندهم من الادوات الا الصوانية فاول ما جيء اليهم بالحديد والنحاس دعوا الاول « وتساسبسا » اي حجر اسود والثاني دعوه « وتسايسبسي » اي حجر احمر . ولما رأى بعض هنود اميركا الفرس لأول مرة دعوه بما مفاده « كلب سحري » وآخرون دعوه بما هو اغرب من ذلك فقالوا ما تعريبه « خنزير يحمل انسان » ومن غرائب اللغة الصينية تعبيرهم عن قولنا « فضيلة » بربع كلمات معاً وهي « امانة - شفقة - اعتدال - عدالة » وعن الوالدين بقولهم « اب - ام » . والمكسيكيون اول عهدهم بالماعز وضعوا لها اسماً لا يقل غرابة عن تسمية زملائهم الصينيين وهو بلغتهم « كواوونتسون » وتعريبها حرفياً « رأس شجرة شفة شعر » فقصدوا بقولهم « رأس شجرة » القرون و « شفة شعر » اللحية وبعبارة أخرى الحيوان ذو القرون واللحية . واهل ملقا يدعون السهم

« اناك بناء » اي ولد القوس^(١) وفي الفارسية « آب ودانة » المعيشة ومعناها حرفياً « الماء والحب » والاولسترايون يعبرون عن « متفق » بقولهم « غوردوجينيال » اي « قلب واحد اتى » ومن المؤكد ان هذه الكلمات لم يمرّ عليها بعض السنين من وضعها حتى تصرف المتكلمون بها على طرق مختلفة نحتاً وابدالاً وقلباً بحيث لم يعد تمييزها سهلاً . فكيف يمكنهم بعد ان تبلغ لغتهم مبلغ لغتنا من الارتقاء والتهذيب ان يخطر لهم او ان يحملوا ان تلك المسميات مركبة أصلاً من الفاظ ذات معانٍ مستقلة

والنحت يفعل في تغيير صور الكلمات فعلاً عجباً يكاد يفوق التصديق . فان المندنجو من قبائل افريقيا الجنوبية كانوا يعبرون عن « اخت » بقولهم « مي بادو دنغو موسو » ومفادها حرفياً « انثى ولد امي » لكنهم نحتوها بالاستعمال فصارت « مبادنموسو » وأغرب من ذلك ان زنوج « غريبو » يعبرون عن حاسة الغضب بقولهم « اه يامو كراوودي » اي « قد نتأ عظم في صدري » لكنهم يسرعون في لفظها فتسمع « يامكرووري » والاغرب من كل ذلك ان سكان جزيرة « فا كوفر » لما شاهدوا رجلاً افرنجياً لأول مرة كان ذا لحية

(١) وفي العربية كثير من ضروب هذه التسمية كقولهم ابنة العنب للخمير وابنة الحان لها أيضاً غير ان هذه التسميات حديثة الوضع عندنا . وقد وضعت تفنناً في البيان . والدليل على ذلك ان لهذه المعاني كلمات أخرى مفردة في لغتنا أما في اللغات الأخرى فهي التسمية الوحيدة غالباً

طويلة فوضعوا له في لغتهم اسماً هو « يكييكوكسالكوس » ومفادها حرفياً « طويل - وجه - شعر - رجل » ثم حرفوها ونحتوها حتى صارت « يكبوس » فتأمل

ومثل هذه الامثلة كثير في الطائفة الآرية ومعظمها مركب من كلمات لاتينية او يونانية او غيرها . ومن له الملم في احدى هذه اللغات يعلم ذلك . ونأتي هنا بمثل او اثنين فقط للتمثيل فان fortnight الانكليزية منحوتة اصلاً من كلمتين انكليزيتين fourteen night اي ١٤ ليلة و double بالفرنساوية والانكليزية « مضاعف » اصلها من كلمتين لاتينيتين duo plie اي « ضعفين » وكذلك quadruple, triple واخواتهما فانها مركبة من plie المتقدم ذكرها والاعداد اللاتينية quatuor, tre الخ. والاصول الفعلية المركبة هي اكثر كثيراً في هذه اللغات وقلما تجد فعلاً غير منحوت من أصلين فاكثر الواحد في الغالب فعل والآخر اداة . وهذا النوع من التركيب خاص بهذه الطائفة وهو اشهر من ان يذكر لكننا نذكر هنا مثلاً واحداً يبين مقدار ما وصل اليه هذا التركيب : ركب اللاتينيون من vox « صوت » سلسلة افعال واسماء . منها vocabulum كلمة revocabulum قابل النقض و irrevocabilis غير قابل النقض وقس عليه

ومن طرق التعبير في اخوات العربية ما ربما يلقي على بحثنا نوراً فان العبرانيين يعبرون عن قولنا « فكر » بقولهم ما تعريبه « قال في قلبه » وعن « عائلة » بقولهم « بيت أب » بجميع هذه الكلمات المركبة

يمكن ان تنحت بالاستعمال الى كلمات مفردة لا يسهل تتبعها الى اجزائها المؤلفه هي منها

هذا ولا يخفى ان قسماً عظيماً من الافعال العربية أصلها أسماء جامدة ربما كانت في الاصل أعجمية معربة والغالب فيها أن تكون رباعية كقولهم « فلسف » وتفلسف الرجل تحكّم (من الحكمة) وتحذق بالشيء والاصل فيها كلمة يونانية هي *philosophia* الفلاسفة وهذه مركبة من أصلين *philia* حب *sofia* الحكمة . وأمثال هذه الكلمات كثيرة في العربية وأكثرها مأخوذ عن الفارسية أو اليونانية أو اللاتينية . واللغة لا تنفك عن الاستعارة في كل آن وزمان فان العامة تقول « ستف » بمعنى رتب صفوفها بعضها فوق بعض وهي لفظه كثيرة الاستعمال بينهم ولا نرى لها ذكراً في كتب اللغة فالظاهر أنها معربة من *stow* التي هي و *stuff* من أصل واحد فيرجح ان عامتنا أخذت هذا الفعل عن الانكليز . ولو حصل ذلك قبل أن جمعت اللغة لكانت هذه اللفظة معدودة الآن بين الالفاظ العربية ولما تجرأنا على القول بأنها مأخوذة عن لغة أعجمية . فما المانع من حصول مثل ذلك في اللغة قبل أن جمعت وهي اذ ذاك أكثر قبولاً لمثل هذه الاستعارات نظراً لاحتياجها الى الالفاظ ولانها لم تكن مدونة محدودة محظور على أهلها استعمال الالفاظ الاعجمية

وفي اللغة العربية ألفاظ تعدّ من أعرق الكلم في العروبة وما هي منها في شيء . من ذلك لفظ « النبي » بمعنى الرسول ونحوه فقد

شقها صاحب القاموس من « نبا » وما في معنى هذا الفعل ما يدل على النبوة الا ان يقال بتجليه في مشتقاتها مثل تنبأ ونبأ ونبأ فان فيها معنى الاخبار . ويلوح لنا ان هذا المعنى مكتسب من لفظ النبي اي انها مشتقة منه وأما هو فيغلب في اعتقادنا انه مصري قديم مركب من لفظين « نب » و « ي » ومعناهما معا رئيس البيت او شيخ العائلة . والظاهر ان اليهود اقتبسوا هذه اللفظة من المصريين القدماء اثناء سكنهم مصر واستخدموها اولاً لهذا المعنى فسموا بها الآباء الاولين (راجع المزامير ١٠٥ : ١٥) ثم أطلقوها على الانبياء كافة . وأخذها عنهم العرب لهذا المعنى كما أخذوا غيرها من الآداب الدينية قبل الاسلام - وكان اليهود يسمون النبي قبلاً « الرائي » يريدون به الذي يرى الغيب

ومنها « السراب » وهو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وقد شقها صاحب القاموس من « سرب » الماء جرى فقال « سمي بذلك لذهابه على وجه الارض » - وهي كلمة فارسية مؤلفة من « سير » مملوء و « آب » ماء اي « مملوء ماء » وهو المراد بالسراب

ومنها « الملك » واحد الملائكة فانه لفظ عبراني الاصل بصيغة اسم المفعول من هالك ارسل ومعناها الرسول وهو المراد بها في العربية . وقد شقها صاحب القاموس ايضاً من آلك « العربية » . ومن هذا القبيل الفاظ كثيرة اصلها اعجمي وقد تعربت ونسي اصلها

والخلاصة اننا نستدل من امكان تجريد قسم عظيم من الاصول
الثلاثية الى اصول ثنائية تحاكي اصواتاً طبيعية ومن كون الفاظ
اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظاً ومعنى على ان الالفاظ المانعة الدالة
على معنى في نفسها يرد معظمها الى اصول ثنائية احادية المقطع تحاكي
اصواتاً طبيعية

القضية الرابعة

ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد

أو بضعة الفاظ

ان الالفاظ المطلقة هي التي يمكن الدلالة بواحدة منها على أي
نوع من الموجودات كما سبقت الاشارة وهي تشمل الضمائر واسم
الاشارة واسم الموصول ويرى الباحث المتأمل في أحوال هذه الالفاظ
في لغات مختلفة انها تكاد تكون واحدة في جميعها وانها من الادلة
الواضحة على وحدة الاصل فيها. وتحسن الاشارة عند الاقتضاء الى
اوجه المشابهة بينها لعلها تسعفنا في تتبع الاصل المتفرعة عنه كل
هذه الفروع. وسنتوخى في ذلك الاختصار بقدر الامكان
فلنبحث أولاً في الضمائر ونرسمها في كل من اللغات
السامية للمقابلة

إذا امعنت النظر في الجدول الآتي رأيت الضمائر تتميز بعضها عن بعض بالعدد والجنس والشخص وان تمييز العدد قائم بزيادة ميم المذكر ونون غالباً للمؤنث لكنها لا تقع تحت حكم قاطع اذ انهما تتبادلان في احوال جهة وهي واحدة في السريانية والقياس يقتضي ان تكون الميم في العبرانية للمذكر والنون للمؤنث لكن هذه الاخيرة كثيراً ما وردت في مكان تلك وليست هي في كل حال الاً مميّزاً للعدد لا دخل لها في مادة الضمير لانها تستعمل حينما احتيج للدلالة على الجمع سواء كان في الاسم او الفعل او غيرهما كما مرّ

وأما يميز الجنس ويحصل به التمييز بين المذكر والمؤنث فانه قاصر في الغالب على الحركات كما تقدم . ويتضح ذلك جلياً في النعوت التي تؤنث وتذكر فاننا بقولنا « حسن » و « حسنة » لا نميز بين الجنسين الاً بالفتح المسند بالتاء التي تلفظ هاء عند الوقف . والارجح ان أصل التأنيث في العريية ان يكون بالالف مقصورة أو ممدودة كما تعلم . والعبرانيون يؤنثون بالفتح المسند بالهاء وهي تقلب تاء عند التحريك أما في السريانية فتسند هذه الفتحة غالباً بالالف . وهذا ما يقال عن

تنبية اول : ترى في الجدول الذي يلي ان النون في مطلق الخطاب في السريانية تكتب ولا تلفظ ويعبر عن ذلك برسم خط تحتها والكاف في السريانية والعبرانية تلفظ غالباً خاء

تنبية ثان : ترى ايضاً ان هذه الضمائر ليست كل ما يستعمله القوم بل هو الاكثر وروداً

الضائز في أمهات اللغات السامية

العبرانية			السرانية			العربية		
رفع متصل	رفع منفصل	نصب متصل	رفع متصل	نصب متصل	رفع متصل	رفع متصل	نصب متصل	رفع متصل
(ي) ִ	(ني) ִנִּי	(انكي) ִנִּי	(ي) ִ	(ت) ִ	(انا) ִ	י	תָּ	أنا
(ك) ִ	(ت) ִתִּי	(أته) ִתִּי	(ك) ִ	(ت) ִ	(انت) ִ	יִ	תָּ	أنت
(ك) ִ	(ت) ִתִּי	(ات) ִתִּי	ִ	(في) ִ	(انتي) ִ	יִ	תָּ	أنت
(هو) ִ	(هوا) ִ	(هوا) ִ	(ه) ִ	(ه) ִ	(هو) ִ	יִ	תָּ	هو
(ه) ִ	(هيا) ִ	(هيا) ִ	(ه) ִ	(هي) ִ	(هي) ִ	יִ	תָּ	هي
(نو) ִ	(نو) ִ	(أنخنو) ִ	(ن) ִ	(ن) ִ	(حسن) ִ	יִ	תָּ	أنكلمين نحن
(ك) ִ	(م) ִ	(أم) ִ	(كون) ִ	(تون) ִ	(انتون) ִ	יִ	תָּ	المخاطبين أنم
(ك) ִ	(ن) ִ	(أن) ִ	(كين) ִ	(تين) ִ	(اتين) ִ	יִ	תָּ	المخاطبات أنتن
(م) ִ	(و) ִ	(م) ִ	(هون) ִ	(اون) ִ	(هتون) ִ	יִ	תָּ	الغائبين هم
(هن) ִ	(و) ִ	(هن) ִ	(هين) ִ	(انين) ִ	(هينين) ִ	יִ	תָּ	الغائبات هن

النوعت أبا في الاسماء فقد تكون التاء علامة التأنيث وقد تكون هذه أو تلك تبعاً لمقتضيات العوامل الآخرة فأنها من الفتحة فما دون الى الكسرة . وقد غلبت الكسرة في بعض الضمائر علامة للتأنيث وقد أشبعت في بعض الاحوال حتى كتبت ياء كما في « هي » العربية والسريانية

فتمييز العدد والجنس ليس أصلياً في اللغة وقد مر في شرح القضية الثانية ما يكفي من هذا القبيل وأضيف الى ذلك ان العبرانيين كثيراً ما استعملوا ضمير الغائب المذكر لكلا الجنسين وخصوصاً في أقدم كتابات القوم . وربما لوحظ هذا الامر في اكثر اللغات أول نشأتها فان معظم لغات البشر لا تميز في ضمائرهما بين المذكر والمؤنث الا في ضمير الغائب لان المتكلم عن شخص غائب يحتاج الى تعيين جنسه أما المتكلم عن شخص حاضر فقلما يحتاج الى مثل ذلك واذا تكلم عن نفسه كان في غنى عن تعيين الجنس على الاطلاق

اما تمييز الشخص فانه أقدم في اللغة . وهناك ملاحظة لا بد من ايرادها قبل الشروع في البحث عن مميزات الشخص اعني النون الملحقة في اوائل الضمائر والظاهر انها عارضة عليها بدليل وجودها في الجميع على السواء اما مؤداها فيصعب الحكم في شأنه على اني لا ارى مانعاً في كونها تفيد التوكيد او التعريف . وربما كانت وان التوكيدية من اصل واحد فان النون او الميم في اللغة المصرية القديمة هي اداة للتعريف والتوكيد معاً كما مر

وإذا شوهد بين هذه الضمائر ما هو خالٍ من هذه النون لا سيما المختص منها بالغائب فلا يعتد به اذ لا يخلو انها لم تدخل عليها او انها دخلت وفقدت كما جرى بها في ضمير المخاطب في العبرانية . على ان الاصل على ما أظن وجود النون في جميعها كما هو الحال في اللغة المصرية القديمة . أما العربية فقد حفظت النون في جميع الضمائر الا الغائب والسريانية حفظتها كالعربية لكن خطأ لا لفظاً

أما الطائفة الآرية فلا أثر لهذه النون في ضمائرهما ولعلها كانت قبلاً وذهبت منها وقد تركت الميم m في ضمير المتكلم اثرًا يشير الى سابق وجودها

فاذا جردنا الضمائر من مميزات العدد والجنس والنون الزائدة يتضح ان الاصل المختص بالتكلم على اطلاقه مقطوعٌ حاقٍ محصور بين الياء والكاف فانه « انا » او الياء في العربية والسريانية و « انكي » تلفظ « انخي » في العبرانية و anok او a في المصرية القديمة و « أنكو » او « يا » او « ا » في الاشورية و ego في اللاتينية و ego و egon في اليونانية و aha او ahom في السنسكريتية و i في الانكليزية و ich في الجرمانية . فترى انك اذا جردت النون حينما وجدت يبقى الضمير مقطوعاً محصوراً بين الياء والكاف

أما ضمير الرفع المتصل في العربية واخواتها فهو التاء وهذه مبدلة من الكاف وقد أشرنا في ما تقدم الى وقوع الابدال بين هذين الحرفين نظراً لتقاربهما في حكاية الصوت ويؤيد ذلك ان هذه

التاء لا تزال كافياً في اللغة الآشورية فقد كان الآشوريون يقولون
« سَكْنَكْ » بدلاً من قولنا « سَكَنْتْ »

وقد رأيت ان المقطع الحلقى المختص بالمتكلم فقد من العربية
والسريانية في المفرد لكنه لم يزل محفوظاً في الجمع « حاء » في العربية
« نحن » وفي السريانية « حنن » أما في العبرانية فقد رأيت انه حفظ
في المفرد والجمع لكنه فقد من هذا الاخير في أزمنتها المتأخرة فان
ضمير المتكلمين كان في العبرانية في أول أزمنتها « انحنو » ثم بكثرة
الاستعمال أستطوا لفظ الحاء أحياناً فقالوا « انو »

وزعم بعضهم ان النون هي الاصل في ضمير المتكلم اعتماداً على
تغلبها في جمعه وعندنا ان هذه انما هي نون الجمع وان وجدت وحدها
في بعض الاحوال لان الحاء او ما يقاربها نظراً لكونها من الاحرف
الحلقية فهي سريعة الزوال . ومع ذلك فانك تراها ثابتة في الضمائر
المنفصلة المختصة بالمتكلم في سائر اللغات الشرقية الا في المفرد من
العربية والسريانية وقد بطل استعمالها في سائر الضمائر المتصلة لفظاً
وخطاً لكنها قد تظهر خطأ في بعض احوال التصريف في السريانية
أما الداعي لكون me او أحد تنوعاتها ضميراً مفعولاً للمتكلم
المفرد في اللغات الآرية فغير معلوم وربما كانت هذه الميم مبدلة من
النون الزائدة كما سبقت الاشارة . أما المقطع الحلقى الذي قلنا انه
الاصل المختص بضمير المتكلم فقد فقد من هذه الطائفة كما فقد من
الجمع في غيرها لكنه ترك أثراً يشير الى سابق وجوده مرافقاً لهذه

الميم مثل mihi في اللاتينية فانها ضمير المتكلم المفرد وفي حالة الجر تلفظ « ميكي »

فينتج مما تقدم ان الاصل في ضمير المتكلم على اطلاقه مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف وانه اكثر ظهوراً في المفرد. أما في الجمع فالنون اكثر وروداً في اكثر اللغات الشرقية والآرية لكنها ليست من أصل الضمير بل هي نون الجمع

أما ضمير المخاطب فاذا جرد من مميزات العدد والجنس ومن النون الزائدة اتضح جلياً ان الاصل فيه التاء أو أحد تنوعاتها. واذا أعدت النظر الى الجدول رأيت النون الزائدة في هذا الاصل غير ثابتة في جميع اللغات الشرقية على السواء فانها في « أنت » مثلاً تكتب وتلفظ في العربية (وهكذا في الكلدانية والمصرية) وتكتب ولا تلفظ في السريانية ولا تكتب ولا تلفظ في العبرانية وبناءً عليه فلا يعتمد عليها متى وجدت وانما الاعتماد في المخاطب على التاء فهي الاصل في جميع أوجه تصريفه ويؤيد ذلك حالته فيما بقي من اللغات فانها التاء أو أحد تنوعاتها في سائر اللغات الآرية فهي في اللاتينية tu وفي اليونانية su (والسين تبدل تاءً وبالعكس كما رأيت) وفي الفرنسية tu واخواتها وفي الانكليزية thou وفي الجرمانية tu او du وفي السنسكريتية tua وفي الفارسية « تو ». ومثل ذلك في ما بقي من اللغات السامية والمصرية. ففي الاشورية « أتأ » وفي الكلدانية « انت » وفي المصرية القديمة entuk وفي القبطية ntok

أما الكاف في ضمير النصب المتصل فببدلة من التاء وقد رأيت
عكس ذلك في تاء المتكلم . وزد عليه ان المصريين القدماء قد أبدلوا
ضمير الرفع المتصل كافاً أيضاً فهم يقولون مثلاً « قتلَكَ » بدلاً من
« قتلتَ »

والخلاصة ان الاصل في ضمير الخطاب التاء فذكَرت وانثت
وجمعت وتنوعت تبعاً لما اقتضته أحوال الناطقين بها
أما « هو » ضمير الغائب فالاصل فيه الهاء كما يظهر من مقابلة
اللغات السامية ومثل ذلك في اللغات الآرية فهو في اليونانية i وما
يركب منها وفي اللغات الجرمانية hua و hu و hue و ho و he و hei وفي
الفارسية « وي »

فبناءً عليه يرجح ان الهاء هي الاصل في جميع أحوال ضمير
الغائب فقد أنثت بالكسر فصارت « هي » وجمعت بالميم او النون
فصارت هم او هن الخ . والقضية لا تحتاج الى زيادة ايضاح

اسم الإشارة واسم الموصول

واسماء الإشارة مرجعها الى مقطعي « ها » و « ذا » ومنهما
يتركب « هذا » و « هاته » و « ذاك » و « تلك » و « ذينك »
و « تينك » وما شاكل^(١) . ومنهما أيضاً نشأ اسم الموصول فان « أل »

(١) يظهر ان كاف الخطاب الملحقة في اواخر هذه الاسماء مأخوذة من
ضمير الخطاب ويؤيد ذلك انها ثني وتجمع مثله فيقال تلك وتلكا وتلكم وذلك
وذلكا وذلكم الخ

الموصولة والتعريفية من المرجح عندي انها مأخوذة عن «ها»
 بدليل كون هذا المقطع هو وحده اداة التعريف في العبرانية. على ان
 نحوي اللغة العبرانية يقولون بوحدة الاصل في «أل» المشار اليها في
 اللغتين العربية والعبرانية وبناء على هذا القول زعموا ان الاصل في
 الاداة العبرانية «هل» قياساً على العربية وقلوا ان اللام لا تظهر
 خطأً وانه يعوّض عنها لفظاً بتشديد الحرف الاول من الكلمة
 الملحقة هي بها فاذا أرادوا تعريف היה (يبت) مثلاً قالوا היה
 (هيبت) بالحاق الهاء محرّكة بالفتح في اوله وتشديد الباء فتعليلاً
 لمذهبهم يقولون ان اللام تدغم بالحرف الاول ويعوض عنها بالتشديد
 وعندني انهم أصابوا بوحدة أصلهما ولكن ربما لم يصح زعمهم بان
 الاصل في كليهما (هل او ال) اذ ان اللام لم تظهر في العبرانية
 لا لفظاً ولا خطأً الا في كلمة واحدة وهي اسم موصول اعني הוא
 (هنازي) وهذه قليلة الورد جداً في كتاباتهم فالارجح عندي انها
 مأخوذة من العربية اذ انها والاسم الموصول «الذي» شيء واحد
 لفظاً ومعنى. أما التشديد المرافق لاداة التعريف في العبرانية فربما
 قصد به التأكيد او توضيح الاشارة

فبناء عليه يرجح ان الاصل في «ال» العربية «ها» التنبيه كما
 هو الحال في العبرانية أما اللام فقد دخلت عرضاً لاسناد الحركة
 واللام كما لا يخفى من الاحرف (ل م ن ر) التي كثيراً ما تدخل في
 اللفظ اسناداً لحركة أو مقطع كما مرّ

ومن الآثار التي تدل على سابق استعمال « ال » للإشارة قولهم « اليوم » و « الساعة » بمعنى هذا اليوم وهذه الساعة . ومن الواضح ان التعريف انما هو ابن الاشارة لان ايسر طريقة لتعريف امر ما تقوم بالاشارة اليه . ويؤيد ذلك ان « ذا » التي هي اسم اشارة كما لا يخفى قد استعملت ولا تزال تستعمل للتعريف والموصول في قسم عظيم من اللغات السامية فان ذي في اللغة البابلية و « ذ » او « د » في اللغة السريانية هي الاداة الوحيدة للموصول والتعريف والاشارة ولا ريب ان « د » السريانية هي بقية « ذي » البابلية فلم يستعمل بنو طي « ذو » للموصول عبثاً . وما قولنا « الذي » الا حجة دامغة على ان الموصول انما هو ابن الاشارة

ولنا في الانكليزية the و this و that من اصل واحد الاولي للتعريف والثانية للاشارة والثالثة للاشارة والموصول فثبت مما تقدم ان اسماء الاشارة والموصول هي في الاصل من اصل واحد مؤلف مقطعين (ها) و (ذا) او الهاء والذال فهل من علاقة بين هذا الاصل والضمائر

قلنا ان التاء هي الاصل في مطلق المخاطب فنسبتها لذال الاشارة لفظاً لا تحتاج الى دليل لان الدال والذال والتاء والسين والشين كثيرة التبادل بعضها من بعض كما تقدم وهذا التبادل جارٍ معظمه قياسياً في الادغام كما لا يخفى . ويظهر باجلى وضوح في اللغات الآرية فان الكلمات المشتركة الاصل المستعملة في لغات مختلفة منها تؤيد قولنا لاننا نرى

ان d في اللاتينية تبدل t في الانكليزية و z في الجرمانية نحو decem عشرة و domare داجن فانهما في الانكليزية ten و tame وفي الجرمانية zahn و zahm والفرنساويون يكتبون tion ويلفظونها sion وعندهم elider و elision من اصل واحد . ومن قواعد اللفظ في اللغة اليونانية ان التاء متى وقعت بعد النون تلفظ دالاً وامثال ذلك كثيرة فبناءً عليه لا يكون ثم مانع في وحدة الاصل لفظاً

اما وحدته معنى فمرجحة ايضاً لأن الدلالة المشتركة بينهما هي الكون المطلق فالظاهر ان هذا هو الاصل في جميع تنوعاتها لانه يُبدل عليه في جميع لغات البشر بالتاء او احد تنوعاتها كما سبقت الاشارة . فان هذه التاء تتضمن معنى الكون المطلق في est (ايت) السريانية ويش العبرانية وايس العربية و es اللاتينية و es اليونانية وايت التركية وهذه متى تحركت تقلب دالاً . و tu وفي المصرية القديمة تستعمل بمعنى ou في الفرنسية . ثم ينقل معناها من الكون المطلق الى ما يقاربه اعني الذات وهي تطلق على كل موجود فتقوم مقام اي نوع من الموجودات حسيماً كان او عقلياً وهي ذات في العربية ربما كانت مركبة من ذا (وايت) at (ات) في العبرانية و at (يت) في السريانية و (ات) في الكلدانية و idem في اللاتينية و autos في اليونانية و tes في المصرية القديمة . ثم تدرج معناها من الدلالة الذاتية المطلقة الى الاشارة المطلقة وهذه في العربية (ذا) وفي العبرانية at (زه) وفي السريانية (دا) وفي الاشورية (سو) وفي اللاتينية is وفي

اليونانية de او ide وفي الفرنسية ce وفي الانكليزية this او that
 وفي القبطية te وفي المصرية القديمة tai . ومن الاشارة المطلقة نشأت
 الاشارة الى كل مسمى واداتها في العربية شيء وفي الفرنسية chose
 وفي الانكليزية thing وقد حصل اثناء هذا الانتقال المعنوي تنوعات
 لفظية نخصصوا بعضها للدلالة على القسم الاعم بين الموجودات
 اعني الانسان فهو يدعى في العربية انس وفي العبرانية ايش وفي
 السريانية نش وفي المصرية القديمة se وخصصوا البعض الآخر
 بالدلالة الاشارية للمخاطب فقط فوصلت الينا على هيئة ضمائر وقد
 تكلمنا عنها بالكفاة . وقد تنوع من اسماء الاشارة الموصولات
 واحرف الاضافة فالاولى قد تكلمنا عنها مايكفي اما الثانية فلها في
 العربية « ذو » ومشتقاتها وفي العبرانية ايش وفي السريانية (د) وفي
 بعض اللغات الآرية de وتنوعاتها

فبناء على كون ضمير المخاطب واسماء الاشارة والموصولات هي
 جميعاً الفاظ مشتركة الدلالة وكونها قابلة التعمير بعضها عن بعض
 في اللغة الواحدة وكونها متقاربة لفظاً في سائر لغات البشر يرجح انها
 في الاصل لفظة واحدة بمقطع واحد . ونظراً لكون التقارب اللفظي
 يحددها في الاحرف السنانية يرجح ان ذلك الاصل هو التاء متحركة
 وان الاصل في دلالتها الكون المطلق وان منها تولدت جميع هذه
 التنوعات لفظاً ومعنى تبعاً لنا موس الارتقاء العام
 وقد اخترت التاء من بين اخواتها لانها الاسهل لفظاً ولا

يصعب على ناطق التلغظ بها وقد تقدم انها موجودة في سائر لغات
البشر. وعليه يظن ان المقطع الاول الذي يتلفظ به الاطفال انما هو
هذا ويرجح ذلك ان (تت) في اللغة المصرية القديمة تفيد
قولنا (تكلم)

اما اسم الاشارة (ها) فيبينه وبين ضمير مطلق الغائب نسبة
قريبة اما لفظاً فلان الاصل في كليهما الهاء كما علمت واما دلالة فلاننا
نقصد بكل منهما ما ليس بالمتكلم ولا بالمخاطب ولم تزل اسماء الاشارة
في كثير من اللغات تستعمل حينما نستعمل نحن ضمير الغائب ولا
أرى لزوماً لتعداد البراهين على صحة ذلك

وهناك امر آخر لا يخلو ذكره من فائدة اعني ان بين كاف
المتكلم وتاء المخاطب وهاء الغائب نسبة قريبة لفظية ومعنوية كما
لا يخفى

وجملة القول يرجح كل الترجيح ان الالفاظ المطلقة، هما تعددت
اشكالها ودلالاتها لا تخرج عن كونها ناشئة من لفظ واحد او بضعة
الفاظ من جملتها التاء والله اعلم

القضية الخامسة

ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً
للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهه في
الصور الذهنية

معلوم ان في اللغة قسماً عظيماً من الفاظها ولا سيما الافعال مما
يستعمل للدلالة الحسية والمعنوية على السواء فبقولنا « فصل » قد
تقصد الدلالة الحسية نحو « فصل زيد الشيء » اي قطعه وابانه . او
المعنوية نحو « فصل الحكم الخصومات » او « فصل المولود عن
الرضاع » اي فطمه . فلا يخلو ان تكون احدي هاتين الدالتين
اصلية حقيقية والاخرى فرعية مجازية . وعندني ان الدلالة الحسية
هي الاصل والمعنوية الفرع حملت مجازاً لتشابهه في الصور الذهنية لان
المحسوسات اول ما تستلفت انتباه الانسان وهي سابقة في ذهنه على
المعنويات لانه في ابسط احوال عيشه لم يكن في احتياج الاعيان للمعاني
الحسية ففي اول استعماله « قطع » لم يكن يريد بها الا القطع الحسي
لكنه بعد ان ارتقى في الحضارة وارتقت تصوراته حدثت له معاني
جديدة بينها وبين القطع مشابهة ذهنية كقولنا « قطع في الامر » اي
جزم « وقطع الحوض » اي ملاءه الى نصفه ثم قطع الماء فحملها عليها
مجازاً . ويؤيد ذلك حالة اللغات الدنيا فانها تقل فيها الدلالة المعنوية
كلما انحطت الى ان تصل الى ما يكاد يخلو منها بالكلية . ولا يخفى ان

هذا التحويل جارٍ في لغتنا الآن ولن يزال الى ما شاء الله
فن الالفاظ ما قد خسر الدلالة الحسية بالكلمة نحو قولنا
« قضى » بمعنى حكم والاصل فيها القطع الحسي وهي من سلسلة « قض »
كما تقدم . ومنها ما لم يزل يستعمل لكليهما نحو « عقل » بمعنى فهم
مأخوذة من عقل الناقة اي ربطها . و « ادرك » الاصل فيها البلوغ
الحسي فيقال ادرك فلان الفرس اي لحقه و « بلغ » وضعت اصلاً
للدلالة على الوصول الحسي فقط كقولهم « بلغ فلان المحلة » اي
وصلها وقد استعملت كما استعملت « أدرك » والاصل في معنى
الفصاحة قولهم « فصح اللبن » اذا ذهبت رغوته ثم قيل فصيح .
وأصل « الرأي » من رأى وهكذا الرؤية . وكذلك الحال في « عرف »
فان اصلها من « العرف » اي الرائحة . ومنها ما هو في اول انتقاله نحو
« قطع » و « ملأ » والاصل في هذه الاخيرة الملء الحسي كالماء
وما شا كل وقد استعملت مجازاً فيقال « ملأ فلاناً على الامر » اي
ساعده وشايعه و « هلك » بمعنى مات وفُقد والاصل في معناها
« الذهاب » وهي كذلك في سائر اللغات الشرقية . و « الشتاء »
مأخوذة من « شتا » في السريانية اي شرب فاستعملت اولاً لري
الارض بالمطر ثم اطلقت على المطر عينه ومنه تحوّل معناها الى الفصل
الذي يحصل فيه المطر . و « غرب » الاصل في دلالتها النزول لانها
في الاشورية « عرب » ومعناها نزل ومنها غربت الشمس اي نزلت
وقد تنوع دلالات الالفاظ على طرق مختلفة تبعاً لتصورات

الناطقين بها وتنوعها فاذا اختلف رأيهم في شأنٍ فذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب سلفاؤهم احتاجوا للتعبير عن هذه التصورات الحديثة الى الفاظ حديثة . فهم في مثل هذه الاحوال يأخذون من الالفاظ ما يقرب دلالة مما يحتاجون اليه فتبقى هذه الالفاظ اثرًا يشير الى ما كان عليه سلفاؤنا من الآراء الامر الذي ربما لا يتيسر للتاريخ الاثنيان به كقولنا « شهر » التي يستعملها كل منا باجلى وضوح ولا يخشى وقوع الالتباس حتى ان ابسط العامة لا يخطئون فهمها . على اننا اذا بحثنا عن اصلها نرى انها كانت تدل في الاصل على « قمر » اذ انها في السريانية « سهر » بالسين بمعنى قمر اما في العبرانية فتستعمل لما نعبر عنه بقولنا « مستدير » . وقد وردت في التوراة مرة على صيغة الجمع بمعنى اقمار صغيرة او اكاليل . وجملة القول يستدل مما تقدم ان اسلافنا الاولين كانوا يعتمدون على الاشهر القمرية في حساباتهم فدعوا الشهر القمري باسم القمر ثم لما تقدموا ووضعوا الاشهر الشمسية استعاروا لها ما كانوا يستعملونه للاشهر القمرية وترانا الآن لا نعلم عن لفظه « شهر » الا انها وضعت للدلالة على جزء من اثني عشر جزءا من السنة الشمسية وائمة ذلك كثيرة في العربية

وخلاصة القول يكاد لا يوجد كلمة واحدة الا واستعملت للدلالة المعنوية وذلك دليل كافٍ على ان قابلية المعاني للانتقال هي كقابلية الالفاظ للابدال

النتيجة

ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول قليلة احادية المقطع
معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية
وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي
ينطق بها الانسان غريزياً

بناءً على ما تقدم برهانه من ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي
تنوعات اصل واحد . وان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها
انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها . وان الالفاظ المانعة الدالة
على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية تحاكي
اصواتاً طبيعية . وان الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ
واحد او بضعة الفاظ . وان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ
وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهه في الصور الذهنية -
ارجح كل الترجيح « ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول قليلة احادية
المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن
الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً » ومن هذه
الاصول نشأت ونمت حتى بلغت ما هي عليه الآن بتركبها وتنوعها
بين نحتٍ وقلبٍ واستعارةٍ سداً لاحتياجات الانسان وجرياً على
ناموس الارتقاء العام . وايضاحاً للموضوع آتي المسألة عن طريق
الاستقراء فاقول :

هل اللغة ضرورية توقيفية ام هي مكتسبة اصطلاحية
كونها ضرورية يقتضي كونها حاصلة بلا اكتساب ونظر وكونها
توقيفية يقتضي كونها ثابتة البناء والدلالة غير قابلة للتغير والانفعال
شأن كما هو توقيف منه تعالى

والواقع خلاف ذلك فاننا لا نطق الا بما نسمعه من الذين حولنا
ونحن لا نتكلم بالعربية الا لاننا نشأنا بين قوم يتكلمونها . ولو اتفق
اننا ربنا بين اليونانيين لكانت اليونانية لغتنا او بين الهنود فالهندية .
ومن الجهة الاخرى لو قدر لنا النشوء بين الحيوانات العجم لكنا
عجماً . واللغة كما هو معلوم عرضة للتغيير والانفعال نحتاً وابدالاً
وقلباً واستعارة فما تفاهم به الآن يختلف دلالة ولفظاً عما تفاهم به آباؤنا
وما سيتفاهم به ابناؤنا . وقد حدثت من اللغات ما لم يكن في سالف
الزمن كاللغات المتفرعة من اللاتينية والسنسكريتية - فلو كانت اللغة
توقيفية لاقتضى بقاؤها على ما هي . ولا يقال ان هذه الفروع حدثت
توقيفاً لانها قابلة الرد بالاستقراء تاريخياً الى اول ازمنة نشوءها او
بالحري تفرعها وكل ذلك جرى بموجب نواميس عامة قابضة على زمام
كل ما حولنا من النظام والحياة واعمالها

وجملة القول ان اللغة مكتسبة اصطلاحية والقضية واضحة جلية .
وازيادة الايضاح اذكر ما قاله العلامة ابن خلدون في اثناء كلامه في
تفسير الذوق قال « فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت

كانها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعراباً وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادىء الرأي انها جبلة وطبع . وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه »

وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرائي في أثناء كلامه عن اصل اللغة « ان ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والتممة من الله » وقال السيوطي « ودليل امكان الاصطلاح ان يتولى واحدٌ او جمعٌ وضع الالفاظ لمعانٍ ثم يفهموها لغيرهم بالاشارة كحال الوالدات مع اطفالهن »

الطريقة الطبيعية للتكلم

(التفاهم)

فلنتصور الانسان في اول ادواره يطوف الحقول والغابات عارياً او نصف عارٍ يلتقط ثمر الارض وبقليها فاذا جنَّ الليل اوى الى كهف او مغارة او تساق شجرة يلجأ اليها خوفاً من هجمات الوحوش الضارية فاذا اصبح خرج يسعى وراء رزقه يلتمسه بالاجتهاد . واجتهاده انما هو التفتيش عن شجرة ذات ثمر يأكله او حيوان يرميه بحجر فيقتله ويتناول لحمه لا يمتاز في ذلك عن الحيوان الاعجم . الا انه ما لبث ان اضطر الى الاجتماع وهي مزية خص بها الانسان . والسبب في ميله

الى الاجتماع قصوره عن مقاومة طوارىء الطبيعة ودفع غائلة الوحوش الضارية منفرداً فعكف على التعاون والتعاقد وهو الاجتماع . فلما اجتمع اضطر الى تبادل المعاني والمقاصد وهي الغاية المقصودة بالاجتماع فساقه ذلك الى التفاهم فتدرج فيه من الاشارات الى الاصوات فالالفاظ فالجمل كما سترى

فيظهر مما تقدم ان ضعفه هو الذي ساقه الى التكلم ورب معترض يقول أعلّ الضعف خاص ببني الانسان حتى اضطر وخده الى الاجتماع فترتب على اجتماعه نشوء اللغة والعمران . تقول ان بين انواع الحيوان انواعاً اكثر ضعفاً منه ولعلها اضطرت الى الاجتماع غير مرة ولكنها لم تستطع التكلم لتصورها الطبيعي عما امتاز به الانسان من المواهب الطبيعية جسداً وعقلاً مما يؤهله للنطق وتركيب الالفاظ وايضاح المعاني . على اننا لا نظن انواع الحيوان الاخرى خلواً من التفاهم بل هو واقع بين افراد النوع الواحد وبين الانواع المختلفة على اساليب وطرق لم ندركها تماماً اذ ليس من الضرورة ان يتم التفاهم بالتكلم فقط فقد يتفق ان يتوفق بعض انواع الحيوان الى وسيلة يتفاهم بها غير ما توفق اليه الآخر تبعاً لاستعداد كل منهما كأن تتفاهم بحركات جلودها او بحركات آذانها او اذنانها او ما اشبه ذلك . فلا أنواع الحيوان لغات تتفاهم بها ولكنها يجب ان تكون ادنى من لغة الانسان بنسبة انحطاط قواها العاقلة عن قواه

فلا اضطرار الى الاجتماع اصاب كل انواع الحيوان ولكن

الانسان وحده فاز بغايته منه لاستعداده له ومقدرته على اختراع وسائل التفاهم عن طريق الصوت . ومما ساعده على ذلك في بادئ الرأي لباقية حركات يديه وارتقاء اوتار صوته لانه قضى دهوراً يتفاهم بالاشارات وتقليد الاصوات

ولو تدبرت تاريخ اللغة لرأيت المبدأ في نشوئها وارتقاءها راجعاً الى موهبة جعلها الخالق في الانسان وهي موهبة « التقليد » فالتقليد اساس اللغة واصل نشأتها ومدار ارتقاءها . لان التفاهم سواء كان بالاشارات او بالاصوات فهو راجع الى التقليد لان الاشارات تقليد صور الاشياء او معانيها والاصوات تقليد ما يسمعه الانسان من الاصوات الخارجية على اختلاف مصادرها . فالتقليد قوة لم تبلغ في نوع من انواع الحيوان ما بلغته في الانسان وهو تمثيل صورة في ذهن المقلد اكتسبها من الخارج اما رأساً او ضمناً . ولا غنى له في تقليدها عن استيضاحها في ذهنه مع توفر الوسائل اللازمة لتمثيلها للآخرين . فالاستيضاح من اعمال العقل والتمثيل من اعمال اليدين او ما يقوم مقامهما . والانسان اقوى سائر انواع الحيوان عقلاً والبقها تركيباً وهذا هو سبب تفرده بسعة دائرة التفاهم وتعدد وسائله فتأيد اجتماعه وكان ما كان من تمدنه وعمرانه . فانشأ المدن والى الممالك والامم وتبحر في الخليقة فوضع الفلسفة واختلفت آراؤه في سر الخليقة وخالفها فتنفرت المذاهب والاديان والطوائف والنحل وقامت الحروب فازداد الاحتياج الى الادوات والوسائل المساعدة على تسهيل

الغلبة وتأييد القوة فكانت الاختراعات وما جرى مجراها مما ليس هنا محل الكلام عليه . وانما يهمننا منه ان الانسان اضطرَّ الى الاجتماع لضعفه فاحتاج الى تبادل الافكار والمقاصد وهو التفاهم وتمكن بموهبة التقليد الى وضع أساس اللغة . ولاستيعاب الموضوع تقسم الكلام في تاريخ اللغة الى دورين (١) الدور التقليدي (٢) الدور النطقي

(١) الدور التقليدي

يريد بالدور التقليدي الزمن الذي عبَّر فيه الانسان عن مقاصده واغراضه بتقليد ظواهر الاشياء التي يريد التعبير عنها كاللدلالة على شبح بتمثيل صفاته كلها أو بعضها . فالأخرس يعبر عن الفرس بمحاولة الوقوف على يديه ورجليه معاً تقليداً للفرس في مشيه . ومن هذا القبيل دلالة الاطفال على بعض أنواع الحيوان بتقليد اصواتها الخاصة بها . فاذا رأى الطفل كلباً وسمع نباحه ثم أراد التعبير عنه فانه يقلد صوت النباح أو الهر فيقلد صوت المواء أو الفرس فيقلد صوت الصهيل وهو انما عمد الى ذلك لجملة اسم كل منها . وهكذا كان الانسان في أوَّل ادوار وجوده فقد كان كالطفل المولود حديثاً في العالم يسمع ويرى ولا يتكلم . ولكن لكل من الموجودات المحيطة به صورة في ذهنه حصلت من حال اقتضت بقاءها في ذاكرته اذ قد يكون لكل شيء أو واقعة صور كثيرة لا يبقى في الذهن منها الا صورة أو بضع صور سبق الذهن الى الاستمساك بها اما لغرابتها أو لملازمتها ذلك الشيء دون سواه أو لامتيازه بها على سواه من نوعه . فان للفرس مثلاً

أوصافاً كثيرة من الشكل واللون والوضع والصوت وما شاكل ذلك ولكننا عند محاولتنا التعبير عنه بالتقليد يسبق الى ذهننا صوت صهيله لانه خاص به . وللرجل مثلاً أوصاف كثيرة يعرف بها ولكن الخرس يعبرون عنه بمرور ابهام اليد وسبابتها على الشارين . والمرأة اوصاف كثيرة ايضاً ولكنهم يعبرون عنها بما تمتاز به عن الرجل اما بالاشارة الى طول الشعر أو بالدلالة على خلو وجهها منه أو غير ذلك

فينتج مما تقدم ان الدور التقليدي يقسم الى قسمين تقليد الاشكال وتقليد الاصوات فالاول لغة الاشارات وهي لغة الذين لا يستطيعون التكلم اكلة طبيعية كالخرس فانهم يتفاهمون فيما بينهم وبين غير الخرس بالاشارات فقط . والثاني لغة الاصوات

﴿ التفاهم بالاشارات ﴾ والاشارات نوعان اضطرارية واختيارية فالاشارات الاضطرارية ليست خاصة بالانسان بل تشمل كثيراً من الحيوان ولكنها مقصورة على التعبير عن الانفعالات النفسانية كتقطب الوجه من الغضب أو الحزن والابتسام عند الارتياح أو السرور وهز الرأس للدلالة على التهديد أو التعجب وحنينه على الذل أو الخضوع وكدلالة النهوض بغتة على تأثر شديد من فرح أو غضب أو تعجب . ويروي عن المستر غلادستون خطيب انكثرا الشهير ان سامعيه كثيراً ما كانوا يقفون بغتة عند سماع خطبه وهم لا يشعرون وقد يسبب الفرح حركات أخرى كالجز أو الرقص أو الركض وقد يصفق الانسان عند تأثر نفسي بغتي كسماع خبر محزن أو الانتباه بغتة الى خسارة وكالعض

على السبابة ندماً واحمرار الوجه خجلاً واصفراره وجلاً وكالارتجاف
 رعباً وغير ذلك من الاشارات التي يجريها الانسان عن غير قصد
 ولكل منها دلالة خاصة ولكنها قليلة لا تخرج عن حدود الظواهر
 النفسانية حال حدوثها وتزول بزوالها وهي ليست من التقليد في شيء
 على انها تساعد في لغة الاشارات اذا تقلدها الانسان للدلالة على ما تدل
 عليها من طبعها . فقد تعبر عن استنكافك من أمر بتقطيب وجهك
 كأنك تقول « اني لا أحب ذلك » فتقطيب الوجه اذ ذاك اشارة
 تقليدية اختيارية

أما الاشارات الاختيارية فهي التي يجريها الانسان عمداً يقلدها
 شكلاً أو خاصة من خصائص الاجسام الخارجية للتعبير عنها تعبيراً
 تقليدياً محضاً كمن يرسم صورة الشيء على الورق للدلالة عليه . ولكن
 تلك الاشارات قد تتحول بالاستعمال والمزاولة من المعنى الحسي البسيط
 الى المعنى الرمزي . ولبيان ذلك نستلفت انتباه القارىء الى لغة الخرس
 الشائعة بينهم وقد يفهمها سواهم إلا ما كان منها قد تحول الى معنى
 رمزي لا علاقة ظاهرة بينه وبين الاشارة

فلغة الاشارات وهي لغة الخرس تقسم الى اشارات ذاتية
 واشارات معنوية او رمزية . فالذاتية كالتعبير عن الشيء بتمثيل اوصافه
 باليدين فاذا شاء الاخرس التعبير عن الصندوق مثلاً رسمه لك بيديه
 موضعاً طوله وعرضه وعلوه وللدلالة على كونه خشبياً او حديداً يشير
 الى مادة خشبية او حديدية من ادوات المكان الواقف هو فيه .

وهذا هو الاصل في لغة الاشارات ولكن الطبيعة لا تقبل البقاء على حال واحدة وناموس الارتقاء العام متخلل سائر اعمال الحياة وهو يقضي بالنمو والتنوع والتفرع على اساليب شتى ترجع الى مبداء واحد فالاشارات الذاتية ما لبثت ان صارت معنوية او رمزية بمرور الايام على ان التقليد الذاتي قليل في لغة الاشارات والغالب في التعبير عن الاشباح الخارجية بالاشارة ان يكون بتمثيل صفة من صفاتها او حالة ملازمة لها كما لو اطبق الاخرس اصابع احدى يديه وادناها من فيه كأنه يصب ماء فنفهم انه يريد « الماء » او « عطشان » او « اسقي » او « أشرب » اما التمييز بين هذه المعاني فمكول بالقرينة

فلغة الاشارات في هذه الحال لا تزال في ابسط احوالها بعضها تقليد ظواهر الاجسام او بعض احوالها وبعضها تقليد ظواهر الانفعالات النفسية وهي ما دامت على هذه الحال يفهمها كل انسان ولكنها قد تتحوّل بالتنوع والتفرع الى لغة لا يفهما الا الذين يدرسونها مثل لغة التكلم . وقد يقع في اشكال الاشارات ومدلولاتها تغيير وتبديل يشبه القلب والابدال في لغة التكلم . من امثلة ذلك ان خرس براين يقصدون بمحاولة كسر الرأس باليد ما هو في لغتنا (رجل فرنساوي) وصغارهم يستعملون هذه الاشارة لهذا المعنى وهم لا يعلمون الا كونها كذا خلقت . وقد ظهر بعد البحث انها مأخوذة عن محاكاة حادثة موت لويس السادس عشر فالخرس قرأوا في كتبهم انه مات ضروباً على رأسه فاستعملوا في بادىء الامر اشارة الضرب على الرأس

كمحاولة كسره للدلالة عليه ثم حملوها مجازاً على كل فرساوي .
 وبعض قاطني اميركا الشمالية يعبرون عن قولنا « كلب » بجر السبابة
 والوسطى مفتوحتين على الارض وباقي الاصابع مقبوضة والناظر
 لا يرى علاقة بين هذه الاشارة والمعنى المقصود لكنه بعد البحث
 يرى انها مأخوذة عن حوادث جرت يوم كان الهنود هناك وقلت
 خيلهم فاضطروا لاستخدام كلابهم لحمل اعمدة الخيم فكانوا يحملون كلاً
 منها عامودين واحداً من كل جانب فيمشي الكلب والعامودان يجران
 خلفه فقلد الخرس هذه الحالة بجر السبابة والوسطى مفتوحتين على
 الارض وما بقي من الاصابع مقبوض وعبروا بها عن كلابهم . ولم
 يستخدم الهنود كلابهم لحمل اعمدة الخيم من ذلك الحين . اما هذه
 الاشارة فلم ترل مستعملة عندهم الى الآن للدلالة على اي كلب كان .
 وهكذا في كثير من اشاراتهم حتى تفرعت لغات الاشارات وحدثت
 بينها اختلافات لا تقل عما بين اللغات السامية . ولم تكن الاصطلاحات
 المشار اليها السبب الوحيد في ذلك بل هناك امر لا يقل اهمية عنه
 وهو الخلاف الاتفاقي في اختيار هذه الصفة من المعنى المقصود او
 تلك اذ قد تقدم انهم يعبرون عن اي معنى بتقليد صفة من صفاته او
 تشخيص حادثة رافقته اول عهدهم به فقد تختار هذه القبيلة صفة
 وتلك صفة اخرى وقد يتأتى ان هذه تتصور معنى مصحوباً بحادثة لم
 تخطر على بال تلك . فان هنود اميركا الجنوبية يعبرون عن الماء بقبض
 كفهم وكبها نحو الارض كأنهم يسكبون ماءً خلافاً لخرسنا الذين

يقبضونها إلاّ الأبهام ويديرونها نحو الفم كأنهم يحاولون الشرب
ويعبر الخرس عن الضمائر وادوات العطف والجر وما يشبهها
وعن حركات الاعراب بتقديم بعض الاشارات او تأخيرها او غير
ذلك من الطرق التي لا تقع تحت الحصر

فترى مما تقدم ان للغة الاشارات ايضاً دورين احدهما تقليدي
والآخر نطقي مثل لغة التكلم ولولا صعوبة التوسع في لغة الاشارات
لامتناع التفاهم بها ليلاً مع مشقة استخدام اليدين في التكلم لشاعت
وكانت هي لغة البشر وتفرعت الى لغات كثيرة مثل لغات النطق
الآن . لان الانسان في اول ادواره كان يتفاهم بالاشارات والاصوات
التقاييدية معاً وبتوالي الاجيال ارتقت لغة التكلم وتفرعت فبقيت
وبادت لغة الاشارات فلم يبق منها الا اثر عند الخرس الذين لا
يستطيعون النطق . وطبيعي في الخليفة ان يبقى الانسب

(التفاهم بالاصوات)

(الاصوات الطبيعية) تزيد بالاصوات الطبيعية الاصوات
الجارية في الطبيعة وهي اما ان تحدث عن تفاعل القوى الطبيعية
كاصوات الرعد وهبوب الريح وستوط المطر وتصادم الاجسام الجامدة
كالحجارة وغيرها . او ان تحدث عن العالم الحي كاصوات الحيوان على
اختلاف انواعه كصهيل الفرس وتقيق الضفدع ومواء الهر وما شا كل
ذلك

فتقسم الاصوات الطبيعية بهذا الاعتبار الى اصوات حية واصوات غير حية:

(فالاصوات الحية) تقسم الى اصوات الانسان واصوات الحيوانات الاخرى . واصوات الانسان اما اضطرارية او اختيارية فالاضطرارية هي التي يحدثها الانسان عن غير قصد او روية ويراد بها التعبير عن الانفعالات النفسانية وشأنها في ذلك شأن الاشارات الاضطرارية . وهي اما « عتمية » كالاصوات التي يخرجها الانسان عند الانفعالات النفسانية ولا تتميز فيها المقاطع كالانين والعنين والاحيح وهي اصوات المتوجعين والمغمومين . والهمهمة وهو الصوت الحاصل من تردد الزفير هماً او حزناً . والزحير او اخراج النفس بشدة عند عمل شاق . والنجم او النهيم وهو شبه انين يخرجها العامل المكثود فيستريح اليه

وإما « مفصحة » وهي التي يخرجها الانسان عند الانفعال النفساني وقد تتميز فيها المقاطع كقولنا آه للتعجب أو التحسر وأوه للتوجع وأوف للاشمئزاز أو الضجر وآخ للانبساط وأر للغضب والتألم وبش للاستحسان وشه لعدم الاستحسان ووي للتأوه وقهقهه صوت الضحك وغير ذلك

والاصوات الاختيارية هي التي يخرجها الانسان أو غيره من الحيوان بقصد مثل تف حكاية صوت الباصق وأف حكاية صوت النفخ وهه حكاية صوت الزفير الاغتصابي وقس على ذلك أصوات

الصفير والتصفيق والنحنحة والفرغرة والسعال والعطاس والشخير
والغطيظ والجشاء وما شاكل ذلك

أما أصوات الحيوانات الأخرى فكثيرة جداً إذ لكل حيوان
من ذوات الاصوات صوتاً يعرف به كعواء السنور وعواء الكلب
وصرصر البازي ونباح الكلب وصهيل الفرس وخبخ الأفعى
ونبيب التيس

أما (الاصوات غير الحية) فأكثرم من أن يحصيا عدداً كقطقة
الحجارة وقعقة الرحي وجمعيتها وطنطة الجرس ورش الماء ودوي
الرعد ومن هذا القبيل قط حكاية صوت القطع ولط حكاية صوت
اللطم وفش حكاية صوت السهم اذا رمي وفق حكاية صوت القربة
اذا فتحت بفتة وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر. ومما توجه ذهن
القارئ اليه ان الاصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها ليست من
المقاطع الواضحة في شيء ولكنها تؤثر في أذهاننا تأثيراً اذا أردنا
التعبير عنه نطقنا بقطع أو لفظ يشبهه وهذا ما نريد به حكاية الصوت
فن حكاية الاصوات الطبيعية الحية وغير الحية على اختلاف
مصادرها ومظاهرها اقتبس الانسان لفته فاتخذها أولاً بالتقليد
للتعبير عما يحدثها أو ما يتعلق به وهذا ما نسميه اللغة الطبيعية ثم
تنوعت وتفرعت بالنحت والابدال والقلب تبعاً لاحتياجات الانسان
حتى صارت الى ما هي عليه بتوالي الاجيال
وكيفية تألف اللغة من الاصوات الطبيعية أن يقلد الانسان

تلك الاصوات أو ما يحاكيها للدلالة على الاشياء التي تحدثها كما لو
أراد الدلالة على الكلب بتقليد صوت عوائه أو الإشارة الى الريح
بتقليد صوت هبوبها أو اذا أراد قولنا قطع تقلد صوت القطع وهو قَطْ
أو ما شاكل ذلك . وشأن الانسان في اوائل عمرانه شأن الطفل
الرضيع فمراقبة نمو الطفل وكيفية تعبيره عن الظواهر المحيطة به قبل
تعامه لغة والديه أشبه شيء بحال الانسان في طفولية الارض فالطفل
لو ترك لفطرته لدلّ على كل حيوان بتقليد صوته وعلى كل اداة بما
تحدثه من الصوت وقد يستعين بالإشارة وهو في الواقع يفعل ذلك
الآن ولكنه لا يلبث أن يتعلم لغة من هم حوله ويتناسى لغته الطبيعية
وقد يعسر التسليم بنشوء اللغة عن الاصوات الطبيعية وحدها
لانها لا تكاد تذكر بالنسبة الى الفاظ اللغة واشتقاقاتها وأنواع تعبيرها
مما يعد بمئات الالف على حين أن الاصوات الطبيعية لا تكاد تزيد
على المئة والجواب ان ذلك طبيعي جار في الطبيعة يتناول سائر الاجسام
الحية وما يتعلق بها فكما تنمو وترتقي وتنوع وتتفرع وتتكاثر
جريباً على ناموس الارتقاء العام . فقد رأيت في ما تقدم من تاريخ
الانسان انه تدرّج الى سائر حاجياته فارتقى من ابسط الادوات الى
ما يتركب منها حتى صارت تعد بالمئات فكانت القطعة من الجلد
مثلاً تقوم عنده مقام كثير من الثياب والاثاث فكان يتزربها نهاراً
ويلتحفها ليلاً ويستظل بها من حر الشمس أو يفلق بها باب كهفه وقد
يحمل بها ما يحتاج الى نقله من الطعام أو غيره أو يغطي بها رأسه وقاها

من المطر أو حر الشمس وربما اتقى بها رمي الحجارة عليه وقد يستعين
 بها على أعمال أخرى كثيرة لا تحصى فهي تقوم عنده مقام اللباس
 والقراش والبيت والستارة وآنية الحمل والدرع والمظلة وغير ذلك
 وهو انما توصل الى هذه الادوات الكثيرة بعد ذلك تدريجاً
 بالنمو الطبيعي وهكذا يقال في الفاظ اللغة فقد كانت اللفظة الواحدة
 أو المقطع الواحد يقوم مقام مئات من الالفاظ . من أمثلة ذلك أن
 الانسان رأى الماعز مثلاً وسمع صوته فدلّ عليه بحكاية صوته وهي
 معْ وهكذا يفعل الاطفال اليوم فانهم يدلون على الماعز بقولهم « مع »
 ولكنهم يدلون بها أيضاً على لحمه وعلى شعره وعلى أشياء أخرى
 يختلف تعيينها باختلاف الاحوال . والانسان في أول فطرته سمع
 صوت القطع مثلاً فتقلده بقطع « قَطْ » وجعل يدل به عما هو في
 لغتنا قطع أو كسر ولكنه كان يدل به أيضاً على كل ما يتعلق
 بالقطع مثل فعل القطع والمادة المقطوعة واليد التي قطعت والاحوال
 التي قطعت فيها وما شا كل ذلك

ثم أن كل مقطع من المقاطع الطبيعية يتحول بالنحت والابدال
 والقلب والنمو والتفرع والتنوع الى الفاظ كثيرة مشتركة في المعنى
 الاصيل فيخصص الانسان كل تفرع لفظي بتفرع معنوي على
 أسانيب وطرق لا ضابط لها
 ففي الدور التقليدي تقتصر اللغة على تقليد حكايات الاصوات
 الطبيعية على اختلاف مصادرها وهي اللغة الطبيعية الصوتية وهي قليلة

الالفاظ بسيطة البناء لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف ولا ظرف فيها ولا اشتقاق ولا تصريف فيسهل التفاهم بها بين سائر اصناف الناس على اختلاف المناطق والاقليم كما هي الحال في لغة الاشارات الطبيعية . على أننا لا نعلم بوجود لغة على هذه الحالة مطلقاً ولكن بعضها أقرب من البعض الآخر اليها . وأدنى ما يعرف من لغات البشر لغة بعض سكان استراليا وأواسط اميركا الجنوبية فانها نظراً لقلّة موادها لا تفي باغراضهم في التعبير عن كل ما يحتاجون اليه على قلة احتياجاتهم فيضطرون لاستعمال الاشارات فتراهم اذا تكلموا صوتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم وأعينهم . والاشارات قسم مهم من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم ليلاً . والفاظ لغتهم اقرب الى الاصوات الطبيعية منها الى الفاظ لغتنا

ومن قاطني اوستراليا ايضاً من لا تسعفهم لغتهم في التعبير عما وراء الاثنين من الاعداد بلفظ واحد اذ ليس لديهم من الالفاظ العددية الا كلمتان فقط وهما « نئات » واحد و « ناييس » اثنان فاذا أرادوا ثلاثة جمعوها معاً وقالوا « ناييس نئات » أو اربعة « ناييس ناييس » أو خمسة « ناييس ناييس نئات » أو ستة « ناييس ناييس ناييس » أما السبعة وما وراؤها فيقفون عندها منذهلين وتضييق دونهم سبيل التصوّر فيعبرون عنها بقولهم « كثير » . ومنهم من يعبرون عن كل تنوعات معنى القطع بكلمة واحدة . ومما يفيد في الاطلاع على كيفية تحول معاني الكلمات ما يعبر به بعضهم مما هو

من الغرابة بمكان فان منهم من ليس في لغتهم لفظة تؤدي معنى الصلابة
 فاذا اضطررنا للتعبير عن قولنا « صلب » قالوا « حجر » وآخرون
 لا يقدرّون تأدية معنى الطول والاستدارة فيعبرون عن قولنا « طويل »
 بقولهم « ساق » وعن « مستدير » بقولهم « مثل القمر » . ولا يخفى
 أن هذه الكلمات في غاية المناسبة لما وضعت له لان الحجر هو الجسم
 الاكثر شيوعاً بصفة الصلابة والساق أول ما يخطر للانسان تصوّر
 الطول فيها كما هو معلوم . واللغات في أول أمرها خالية من الادوات
 والحروف اذ يعوض عنها في بادئ الامر بالاشارات ثم يستعار لها
 الفاظ ذات معنى في نفسها

(٢) الدور النطقي

نريد بالدور النطقي حال اللغة بعد تحوّل الفاظها بالقلب والابدال
 والنحت من تقليد الاصوات تقليداً بسيطاً الى الفاظ مستقلة يدل
 بها على المعاني دلالة صماء لا تظهر فيها صبغة التقليد كما هو حال
 اللغة الآن

وقد مرّ على اللغة في انتقالها من الدور التقليدي الى النطقي دهور
 متطاولة لا يعرف مقدارها تدرجت فيها اللغة درجات متفاوتة
 لا يسعنا استيفاء شرحها في هذا المقام فنمر عليها مرور المسرع
 خوف التطويل فنقول

أول درجة تخطوها اللغة من التقليد البسيط الى النطق انما هي

تحوّل حكاية الصوت من الدلالة على ما يحاكيه مباشرة الى ما يقرب منه أو يماثله بالتدرّج حتى تتولد الالفاظ البسيطة الدالة على المعاني البسيطة بغير ان تتولد فيها الادوات والحروف اوصيغ الاشتقاق ولا يميز فيها بين الاسم والفعل والحرف وانما يدل على ذلك بالقرينة فتستعمل اللفظة الواحدة تارة اسماً وطوراً فعلاً وأخرى نعمتاً او أداة فالصينيون مثلاً يعبرون بقولهم (توان) عن معان عديدة تعود الى اصل واحد فيقصدون بها (كور) او (احاط) او (مكور) او (كرة) او (حول) الظرفية الى غير ذلك من امثال هذه المعاني ونظراً لقلّة الفاظ اللغة في هذه الحالة يطلقون اللفظة الواحدة على معان تقرب من معناها الاصيل كما هي الحال في اللغة الاكادية فان لفظاً واحدة مؤلفة من مقطع واحد تدل على خمسة عشر معنى والاصل فيها جميعها واحد وهي لفظة ga او ca فانهم يقصدون بها (فم) او (وجه) او (عين) او (اذن) او (شكل) او (قدم) او (رجل) او (نظر) او (تكلم) او (مدينة) والاصل فيها وجه المدينة

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فيتولد فيها المميز بين الاسم والفعل مع خلوها من حروف الجر والعطف وسائر الادوات وصيغ الاشتقاق كما هو الحال في اللغة الصينية فالصينيون يعبرون عن حرف الجر « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في

الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شاجن اي تنغ » مفادها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني اواسط افريقيا قبائل تعرف بقبائل « مندنجو » اذا ارادوا تأدية معنى « على » قالوا « كنعغ » اي عنق او « في » قالوا « كونو » اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا في « في » . وادوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب افعال او اسماء ذات معان مستقلة

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا ادوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص والمشهور من هذا النوع اللغة البولينية والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز اصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا ازلت

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فتولد فيها بعض الادوات والحروف وتولدها انما يكون بتنوع الفاظها بالنحت على كرور الايام فتتحول الاسماء او الافعال الدالة على معنى في نفسها الى الحروف او الدالة على معنى في غيرها على طرق وأساليب لا يمكن حصرها . ولكنها تبقى مع ذلك خلواً من مميزات العدد او الجنس في افعالها كما هي الحال في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) التي قد توفر فيها عدد كاف من الادوات والظروف لكنها تشارك المتقدم ذكرها بانها لا يميز للزمن

او الشخص في افعالها . والادوات التي تحسب ضرورية في الطائفة الآرية والطائفة السامية في تركيب الازمنة والمشتقات لا وجود لها مطلقاً في اللغة المصرية . والتصريف الفعلي يقوم فيها باضافة الضمائر الى الاصل المتضمن الحدث اضافة بسيطة بدون تغيير في اصلها او اشارة الى مقصد التكلم والتمييز في ذلك كله موكل بالقرينة ولا وجود في لغتهم لما يسمونه عندنا مزيدات الافعال فالاصل هو الذي يقوم في التكلم مكان سائر تنوعات معناه . وتشاركها ايضاً باطلاق اللفظة الوحيدة على الاسم او الفعل او الحرف فعندهم aa مثلاً تفيد قولنا عظيم فيختلف مؤداها باختلاف موقعها فتجبيء بمعنى (جداً) او (عظيم) او (رجل عظيم)

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فتتولد فيها مميزات الجنس والعدد والاشتقاق كما ترى في اللغات السامية (الأعرية) فان فيها الاشتقاق ومميزات الجنس في الاسماء والنوعت واشباهها واكتنا نرى فيها تقصاً تشارك فيه اللغة المصرية القديمة كخلوها من صيغ التفضيل مثلاً فالصفة المشبهة في تلك اللغات تقوم مقام انواع التفضيل الثلاثة فيكون مثلاً في الصفة المشبهة هذا حسن وفي افعال التفضيل هذا حسن من ذلك ويقصدون بها هذا احسن من ذلك . واذا ارادوا تفضيل الفرد على سائر افراد نوعه قالوا ما يماثل قولنا ملك الملوك ويقصدون بها قولنا اعظم الملوك او الاعظم بين الملوك ثم ترتقي درجة اخرى فتم فيها كل هذه المميزات مع خلوها من

حالات الاعراب وهذه هي حال اللغات الآرية الحديثة وتشمل أعظم لغات أوروبا الحديثة ولا يميز فيها بين الرفع والنصب والجر وإنما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر أو بتقديم الالفاظ وتأخيرها فالفرنساويون يقولون مثلاً *le lion tue le tigre* أي الأسد يقتل النمر وإذا أرادوا العكس عكسوا ترتيب العبارة فقالوا *le tigre tue le lion* وفي الانكليزية *the lion kills the tiger* أي الأسد يقتل النمر و *the tiger kills the lion* النمر يقتل الأسد وهكذا في الاضافة وغيرها ومعلوم ان لغة عامتنا نظراً لاهمال حركات الاعراب قد أصبحت من هذا النوع

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى وهي أرقى ما وصلت اليه اللغات حتى الآن فتتولد فيها مميزات الاعراب وهي حال اللغة العربية الفصحى واللغات اليونانية واللاتينية والالمانية فان تقديم الالفاظ وتأخيرها قلما يؤثران في المقصود من العبارة اذا حفظت حركات الاعراب ففي العربية الفصحى تقول قتل الأسد النمرَ وقتل النمرَ الأسدُ والاسدُ قتل النمرَ والاسدُ النمرَ قتل والنمرَ الاسدُ قتل (قتله) والنمرَ قتل الاسدُ وجميعها تفيد ان الاسد القاتل والنمر المقتول واذا اردنا العكس لا نحتاج الا الى تغيير حركات الاعراب كما لا يخفى هذا ملخص ما يمكن ان تمر عليه اللغة من الاحوال في الارتقاء من الدور التقليدي الى الدور النطقي في ارقى درجاته وربما استغرب بعضهم ان لغة مثل اللغة العربية بما فيها من

الادوات والحروف وانواع الاشتقاق وأساليب التعبير وعدد الالفاظ ان يكون أصلها مقاطع قليلة هي حكايات الاصوات الطبيعية . ولكننا اذا امعنا النظر ودرسنا احوال اللغات على اختلاف درجاتها وراجعنا تاريخ الالفاظ التي أصابها تغيير وتبديل على عهدنا مع تفهمنا ناموس الارتقاء العام الذي جعله الخالق في الاجسام الحية وما يتعلق بها فلا نرى غرابة في ذلك . وفراراً من التطويل نورد بعض الامثلة تقريباً لذهن القارىء من هذا الموضوع فنقول

قد تقدم ان الهمهمة حكاية صوت الزفير الذي يخرج الحزين فتولد منها على توالي الازمان فعل **هَمَّ** وما اشتق منه لفظاً ومعنى (راجع القاوس) ومثل ذلك لفظ **وَي** وهي لفظ ينطق بها الانسان للتأوه من فطرته وقد تركب منها ومن لام الجرّ لفظ **وَيْل** يدلون بها على التفجع او حلول الشر وقد صرّفوها وزادوا فيها فقالوا **وَيْلٌ** و**تَوَيْلٌ** و**تَوَايِلٌ** واستعملوها اسماً لوادٍ في جهنم وشقوا منها اسم مرة فقالوا **وَيْلَةٌ** ويقصدون بها فضيحة وركبوا من (وي) عدة كلمات منها **وَيْحٌ** و**وَيْبٌ** وربما كان أصلها (وي أب) للاستغاثة به **وَوَيْحٌ** ربما من (وي أخ) و**وَيْسٌ** و**وَوَيْهٌ** وركبوا من (ويل) قولهم (ويلمه) بمعنى داهٍ فيقولون لمن عرف بالدهاء (ويلمه) وهي منجوتة من **وَيْ** لامه او **وَيْلٌ** لامه وقد شق الانسان من حكاية صوت التوجع « آه » فعلاً فقال (آه ياوه أوهاً) اي شكا وتوجع وهكذا (تأوه تأوهاً) وقد دعوا داء الحصبية (آهة) والجدري (مآهة) وكل ذلك لتناسب في المعنى واللفظ

وهذه التسمية تذكرينا بلغة الاشارات حيث يعبرون عن المعنى بتقليد صفة من صفاته او تشخيص حادثة ملازمة له فانهم بتسميتهم الحصبه (آهه) كأنهم يشخصون ما يرافق ذلك الداء من تأوه المريض . وقد شقوا أيضاً من (أوف) حكاية صوت الاستكراه قولهم (أفَّ يوفُّ أفًّا) تضجر ورجل (أفَّف) أي كثير الضجر و (أفف) بمعنى أفَّ وقد شقوا منها اسماء فدعوا قلامه الاظافر (أفَّا) وكذلك وسخ الاذن وما رفعته عن الارض من عود او قصبه ومنها أيضاً (الآفة) بمعنى الجبان والمعدم والمقل والرجل القذر ولا يخفى ان هذه المعاني تنوعات المعنى الاصيل الذي هو الضجر والاستكراه . وفي اللغة المصرية القديمة أمثال كثيرة كهذه منها قولهم (حو) بمعنى ضرب وهي صوت المضروب عند التألم وقولهم (آ) لما هو في لغتنا عظيم او كثير وقد تأتي ظرفاً بمعنى (جدًّا) و « حوو » عريان وهي صوت المنفعل من البرد عرياناً

ومثل ذلك حكاية صوت البصاق « تَفُّ » فقد شقوا منها (تفلّ) اي بصق ولما كان الانسان يبصق احياناً استخفافاً بالامر شقوا منه فعلاً فقالوا (تفه) خسّ او قلّ ولما كان التفُّ أحياناً يحدث عن استكراه بعض الاطعمة استعملوا منه (التفاهة) في الطعام اي عدم الطعم فيقال (طعامٌ تفه) اي لا طعم له واذ كان التفُّ مستعملاً عند الغضب او الحدة شقوا منه (تفّى) اي احتد او غضب واذ كان يسمع عند محاولة اطفاء اللهب استعملوا تنوعه (طفّى) بمعنى خمد وقد

شقوا منه أفعالاً وأسماء لم تعد تتميز الآن لكثرة تنوعها . والظاهر ان الفاء هي الصوت المختص بالنفخ فاننا نخرج عند النفخ صوتاً هذه حكايته (أف) فتركب منها (ربما بالنحت) في العريية (نفخ) وفي الانكليزية (puff) وفي الفرنسية (souffler) او (enfler) او (Gonfler) وبعض القبائل العريقة بالتوحش يعبرون عن النار بقولهم (أفي) حكاية صوت النفخ وكان المصريون يعبرون عن النار بقولهم (هه) وهي حكاية صوت الزفير الاغتصابي كأنهم قصدوا به اخراج النفس حاراً من الصدر ليدلوا به على النار وعندهم « خخ » لما هو عندنا « بلعوم » فكان الاصل فيه اخراج الصوت بعنف من مؤخر الحلق ليتنبه السامع الى المتكلم يقصد البلعوم المجاور لتلك الجهة وربما استعمل هذا الصوت في بادئ الامر . صحوباً بإشارة استلفاتاً للذهن ثم استغني عن الاشارة . وفي البرانية « آف » بمعنى أنف وهي حكاية صوت الزفير اذا خرج عن طريق الانف ولما كان الزفير الانفي يحصل غالباً عند الغضب الشديد استعملوا « آف » بمعنى غضب او سخط . وبعد استعمالها للدلالة على الانف اطلقوها على جميع الوجه . ثم ركبوها مع ادوات أخرى فصاغوا منها ظروفاً كقولهم « لآفي » امام او تجاه ولا يخفى ان « آف » و « أنف » من أصل واحد والنون دخيلة في العريية على ما نرى

وليست هذه الامثلة الا نذراً يسيراً بالنسبة الى تنوعات الاصوات الخارجية غير الحية فان مقطع « قط » حكاية صوت القطع

قد تولد منه بالقلب والابدال والنحت تنوعات لا تعد ولا تحصى
 قد أشرنا الى شيء منها في ما تقدم : منها قصّ وكسّ وجذّ وجزّ
 وخصّ وخذّ وقدّ وغيرها وكلها بمعنى قطّ او قطع . وكلّ من هذه
 التنوعات قد تولد منه بالنحت عدة الفاظ فن « قط » تولد قطع
 وقطب وقطف وهذان الاخيران يتضمنان مع القطع معنى الجمع وقطم
 وقطل . ومن « قص » تولد قصم وقصل وقصب وقصر وهذه تتضمن
 معنى النقص وقصف وقصا وجميعها تتضمن معنى القطع . ومن « قض »
 قاض وقضم وقضب وقضع . ومن « كس » كسر وكسع وكسح
 وكسم . ومن « جذ » جذب وجذر وجذف وجندم . ومن « جز »
 جزأ وجزر وجزع وجزح وجزل وجزم . ومن « خز » خزع
 وخزق وخزم وخزل . فترى معنى القطع واضحاً تماماً في جميع هذه
 التنوعات وقد تراه بعيداً في غيرها ومفقوداً في بعضها . فان « خصّ »
 يفيد معنى الافراد بالشيء . فترى معنى القطع فيها مجازياً فكأنه يقول
 خصّه بالشيء أي قطعه عن سواه ومنها خصم بمعنى الخصام او الشقاق
 او الانقسام فظهر فيها معنى القطع ولكنه غير واضح وهكذا في
 خصم فانها لا تزال تتضمن معنى القطع وليس كذلك خضع وخضل .
 ومن « خد » خدع قال البيضاوي « الخدع ان توهم غيرك خلاف
 ما تحقيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب
 تواري في حجره » ولا يخفى ما يستلزم في هذا من معنى القطع .
 وخدر البنت ألزمها الخدر أي قطعها عن الاختلاط بالناس وخدّف

ولا تزال تفيده القطع صريحاً . ويجانس خذ « خذ » ومنها خذع
 قطع وكذلك خذعب وخذتل وخذل . أما خذل فقد أصبحت بمعنى
 خيب لكنك تراها عند التدقيق تفيد القطع أو الانتطاع لانهم
 يقولون خذلت الظبية اذا تخلفت عن صواحبه وانفردت أو انتطعت .
 ويجانس قص « قس » ومنها قسم وقسط فان هذه الاخيرة وسائر
 الافعال المتعلقة بالاحكام العقلية ترد الى معنى القطع المعنوي كعدل
 وقضى وحكم وفصل وقسط وكذلك أفعال القسم كأقسم وحلف .
 ويجانس قس أيضاً « قش » ومنها قشر تتضمن مع النقع معنى النزع
 وكذلك قشط وقشع أما قشب فلا تدل على التقطع أما قشبر المنحوتة
 منها فيستلمح فيها ذلك المعنى والظاهر ان قشب خسرت معنى التقطع
 بالاستعمال والعامه في سورياً يقولون قشبت الشفة أي تشققت .
 وهناك تنوعات أخرى أغضينا عن ذكرها اكتفاءً بما ذكرنا على
 سبيل المثال . ولا بد لنا من ذكر مثال للتنوعات التي تحصل بزيادة
 حرف في أول الاصل مثال ذلك تقض من قض ومقط من قط بمعنى
 الكسر . او في الوسط نحو قرص من قص وقرض من قض وقس
 عليه التنوعات الحاصلة بالتقلب مما يضيق المقام عن استيفائه

ومن غريب الابدال ان تكون « يد » و « تط » او احدي
 اخواتها من أصل واحد . ولا ننكر ما في ذلك من دواعي الاستغراب
 ولكن الدليل يقرب البعيد . فان القرب بينهما في المعنى واضح لان

اليدهي مصدر القطع وأول استماع الانسان حكاية صوت القطع انما كان بواسطتها فلا غرو اذا استعمل ذلك الصوت للدلالة عليها ونسبة اليد للقطع معنى كنسبة قاطع الى قطع ولا يخفى ما هنالك من المشابهة. وأما في اللفظ فاننا باستقراء أصل كلمة يد في اللغات السامية أخوات العربية نرى انها قريبة جداً من قط فانها في الاشورية « غت » وفي البابلية « كت » وهي حكاية صوت القطع بعينه.

فترى ان تنوعات حكاية صوت القطع مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدداً ولا يخفى أن كلاً من هذه التنوعات اصل لمشتقات وتنوعات جمة لفظاً ومعنى حقيقة ومجازاً واذا أردت، تحقق ذلك راجع كلاً من هذه المواد في مكانه من القاموس فترى ان لبعضها مئات من التنوعات المعنوية التي بعضها يرد الى معنى القطع وبعضها لا يرد لما حام حوله من اظلال المعاني الأخرى اما بالاستعمال او بتنوع المعاني نفسها او غير ذلك

وما قيل في « قط » يقال في غيرها من حكاية الاصوات فمن « هب » حكاية صوت الهميب اذا نفخته الريح او هو ما نسمعه ممن يعمل عملاً يقتضي اجهاداً وقد تصوروا فيه معنى الهيجان لنا سلسلة هبج وهبذ وهبش وهبص وهببا وسلسلة هبب ورهب وسلسلة هذب وهكذا. ولنا من « لت » حكاية صوت اللطم لت ولتب واتيج ولتيخ ولتد ولتذ ولتف واتم. ويجانس لت « لظ » ومنها لظاً ولطت ولطح ولطخ ولطس ولطش ولطع ولطم ولظه وجميعها

تتضمن معنى الدق والشد ومنها سلسلة أخرى أولها لبط . وهكذا
يقال في « فق » حكاية صوت القربة اذا انبثق منها الماء وتتضمن معنى
الفتح ومنها فقّ وفتقاً وفتح وقرر وققص وققش وققع وقس عليه
كثيراً من أمثاله

فهذه التنوعات مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدداً ولا يبرح من
بال القارىء ان كلاً منها أصل لمشتقات وتنوعات حجة لفظاً ومعنى
حقيقة ومجازاً . وايضاحاً لذلك نذكر مشتقات وتنوعات أحدها
« قطع » ومعناها أصلاً أبان أو فصل فمنها : « قطع فلاناً عن حقه
منعه » . وأقطع الحدث الصلاة أبطلها . وفلان في القول جزم وقطع
الطريق منعه وقطع النهر عبره . وقطع لسانه أي أعطاه احساناً حتى
أسكته عن هجوه . وقطع فلان الحبل الختنق وقطع الحوض ملاءه
الى نصفه ثم قطع عنه الماء وقطع عنق دابته باعها . وقطع الرجل او
قطع لم يتندر على الكلام . وقطعت يده قطعاً وقطعة وقطعاً وقطاعاً
بانة بقطع او بدا . عرض لها . وقطع بفلان مجهولاً عجز عن سفره
او حيل بينه وبين ما يؤمله وقطع فلان يئس او عجز . قطعه قطعه
شديداً أو بكثرة . قطعني الثوب كفاني التقطيع . يقال هذا الثوب
يقطعك قيصاً . وقطع فرسه الخيل سبقها . وقطع الله عليه العذاب
لونه وجزأه . وقطع الحمر بالماء مزجها . وقطع العروضي الشعر حله
الى أجزاء العروضية . قاطعه ضد وأصله . وفلان فلاناً بسيفها نظراً
أيها اقطع . وقاطع فلاناً على عمل ولاه اياه باجرة معينة . واقطع الامام

الجند البلد جعل لهم غلته رزقاً . وقد دعوا اسم ذلك المسكان الذي يتقطع
قطيعةً . واقطع فلاناً خشباً أذن له في قطعها . اقطعت الدجاجة
أفقت . واقطع النخل اصرم . وماء الركية ذهب . واقطع التوم انقطعت
عنه مياها السماء . وفلاناً جاوز به نهراً . والرجل انقطعت حجته وبكتوه
بالحق فلم يجب . والغريب عن أهله انقطع عنهم وباينهم . وتقطع الشيء
مطاوع قطع . تقطعت الخمر امتزجت . وتقطعوا أمرهم بينهم تقسموه .
وتقاطعا ضد تواصلوا . وانقطع الشيء مطاوع قطع والسيف انكسر .
وماء الركية ذهب . والغيث احتبس . والنهر جف . او حبس . واتقطع
بالمسافر على المجهول عطبت دابته او نقد زاده فانقطع به السفر دون
طيه . فهو منقطع به . واقطع من ماله قطعة أخذ منه شيئاً واستقطعه
بلداً سألته أن يُقطعه اياها . القاطع اسم فاعل والحاجز والمقطع الذي
يتقطع به الثوب والاديم ونحوهما وقيل القاطع هو المثال الذي يتقطع عليه
وسيف قاطع أي ماض . ولبن قاطع اي حامض . وبرهان قاطع أي
يقطع الحجة أي متنع . وقاطع الطريق اللص . العامة تقول قاطع النهر
أي الشاطئ المقابل . ودواء قاطع أي ذهبته قوته . والطعام القاطع
عند النصارى ما لبس من لحوم حيوانات البر ولا من البانها . والمنقطع
عن تناول غير هذا الطعام يقال له قاطع أيضاً . القاطعية عند التجار
الكمية التي تفتى بالاستعمال من طعام وبضاعة ونحوهما . القطار المقطع
الذي يتقطع به الثوب والاديم ونحوهما والدرام . وزمن القطار أي
زمن صرام النخل . والقطاع مصدر وعند المهندسين يطلق على شيتين

أحدهما قطاع الدائرة والثاني قطاع الكرة . القطاعة اللقمة وما سقط
من القطع وطائفة تقطع من الشيء . أو هي مختصة بالاديم . القطاعة عند
النصارى الاقتصار على الطعام القاطع المذكور آنفاً . القطاع عند البنائين
الذي يقطع حجارة البناء من الصخر . وآلة القطاعة . وحرفته القطاعة .
والقطع ابانة بعض اجزاء الجسم فصلاً . وقطع اللص يراد به قطع
يده . وقولهم ان الامر واقع قطعاً النصب فيه على المصدر أي انقطع به
قطعاً بمعنى اجزم . او على الحال أي مقطوعاً بوقوعه . والقطع عند
المتقدمين من القراء الوقف . والمتأخرون منهم فرقوا بينهما فقالوا
القطع عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية
استئناف القراءة لا بنية الاعراض عنها . وهو عند العروضيين حذف
آخر الوند المجموع الواقع في عروض البيت أو ضربه واسكان المتحرك
قبله كحذف النون من متفاعلن وتسكين اللام فيصير متفاعلً ويُنقل
الى فاعلاتن . ويسمى ذلك الجزء مقطوعاً . والقطع عند النحاة ترك
التبعية والعدول الى خلافها كقراءة بعضهم الحمد لله الحميد برفع الحميد
على انه خبرٌ لمبتدأ محذوف أي هو الحميد ونصبه على انه مفعول به لفعل
محذوف أي أعني الحميد . وعند أهل المعاني الفصل وهو ترك العطف .
وذلك يكون بين الجمل لسكون عطف الواحدة منها على الاخرى
يوهم عطفها على غيرها مما ليس بمقصود عطفها . ويطلق القطع عند
الحكماء على فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه وعند الاصوليين على
معنيين أحدهما نفي الاحتمال أصلاً . والثاني نفي الاحتمال الناشئ عن

دليل . وهمزة القطع عند الصرفيين التي تنبت لفظاً في الابتداء والدرج
 جميعاً . والقطع ما تقطع من الشجر ونصل صغير عريض وظلمة آخر
 الليل او القطعة منه او من أوله او من ثلثه والرديء من السهام والبساط
 او النمرقة او طنفسة يجعلها الركب تحته وتغطي كتفي البعير . وثوب
 قِطْعٌ وأقطع أي مقطوع . القطع البهر وانقطاع النفس وجمع لاقطع
 والقطيع وأصابهم قُطِعٌ او قِطْعٌ بالكسر اي انقطع ماء برهم في القيط .
 القطع القطعة من الليل . ورجل قطع أي هاجر رحمه وقاطعها وعاقها .
 القطعاء مؤنث الاقطع . ورحم قِطْعَاءٌ لم توصل . القطعة الحصة من الشيء .
 وقطعة علم للانثى من القطا . القطعة عند المهندسين كالقطاع والقطعة
 من الشعر ما كان سبعة أبيات فما دون وقيل عشرة والقطعة بقية يد
 الاقطع . وموضع القطع . القطوع من النوق التي يسرع انقطاع لبنها .
 القطيع الطائفة من الغنم والنعم . وهو قطيع القيام أي منتطح القيام
 ضعفاً أو سمناً . وامرأة قطيع الكلام أي غير سليطة . وهو قطيعه او
 شبيهه في خلقه وقده . القطيعاء ضرب من التمر . القطيععة الهجران .
 الاقطع المقطوع اليد . وحمم اقطع اي في بطنه يياض . الانقطاع في
 المناظرة اختتام البحث بثبوت دعوى المستدل او دعوى المعارض .
 والتقطيع منقص في الامعاء « سموه تقطيعاً لان المصاب به يحس كأن
 امعاءه تتقطع »

المقطع من لا يثبت على مواخاة . المقطع حرف مع حركة أو
 حرفان ثانيهما ساكن وقيل هي الحركة الاعرابية ويطلق المقطع أيضاً

على مخرج الحرف من الحلق أو اللسان أو الشفتين . مقطع الاسعار
الارنب المقطعات من الشعر قصاره وأراجيزه . اه»^(١)

هذه تنوعات فرع واحد من تفرعات « قط » فقس عليه ما بقي
منها واجمع ترّ انها تفوق الآلاف عدداً

ومعلوم ان هذه التنوعات لم تكن مقصودة عند أول استعمال
قطع بل حدثت بعد ذلك تبعاً لاحتياجات البشر ووفقاً لما استدعتهُ
الاحوال الامر الذي لا ينفك ولن ينفك جاريّاً الى ماشاء الله فان
كثيراً منها قد طرأ عليه بعد ان جمعت اللغة تنوع اقتضته الاحوال
وكثيراً منها أبطل استعماله والتي في زوايا الاهمال ولا يخفى على كاتب
في اللغة ان كثيراً من المعاني المجازية اللالفاظ قد اهل لدواع غير معروفة
تماماً وكل يعلم ان الالفاظ على الدوام آخذة باكتساب معان جديدة
اما بين الكتاب للتعبير عن أفكار حديثة أو بين العامة جرياً على
ناموس الارتقاء العام — فالعامة تقول « رجل مستور » ويقصدون بها
أنه في درجة متوسطة من المعيشة . فلاول وهلة لا تشاهد علاقة بين
اللفظ والمعنى اذ أن « مستور » مشتق من ستر أي غطى لكننا نعلم
انهم قصدوا بها باديء بدء ان هذا الرجل ليس فقيراً لدرجة تحمله على
الاستعطاء أو الاستمرار على حالة تشهر أمره بل هو قادر على الكفاء
عائلته بحيث لا يعلم الآخرون باحتياجهم فهم مستورون عن أعين
القوم . وتصرفوا بها فقالوا « بدنا السترة » بمعنى لا نطلب من

(١) عن محيط المحيط ببعض اختصار

الاحتياجات الاسد العوز. وأمثال هذه كثيرة على السنة العامة يسميها
 كلُّ منا. ومما لا بد من ذكره ان هذا التنوع اللغوي يصحبه غالباً
 تنوع لفظي فهم يقولون (ضهر) بمعنى خرج وأصلها بلا ريب (ظهر)
 اذ ليس للاولى من أثر في كتب اللغة فاطر كيف انها تنوعت لفظاً
 ومعنى ولا يخفى ما هناك من النسبة بين معنى الظهور والخروج. ولم
 يكتبوا بذلك بل اطلقوا (ضهر) فصارت تفيد عندهم مفاد جملة
 فيقولون ضهر أو خرج ويريدون بذلك « خرج لقضاء حاجة نفسه »
 وتستعمل العامة (صلاحية) للدلالة على اثناء للطعام كالتصعة واذا
 بحثنا عن اصل هذه اللفظة نرى انها مبدلة من (صراحية) التي وضعت
 أصلاً للدلالة على الخمر الخالصة ثم استعملت مجازاً لآية الخمر ثم
 اطلقت على اناء الطعام. وهناك سؤال آخر ما هي العلاقة بين هذه
 التسمية والخمر فنقول ان (صراحية) مشتقة من (صرح) بمعنى صفا
 فاطلقت على الخمر الصافية ثم على آيته ثم على آية الطعام فأمثل
 ولدينا من جملة افعال القتل قولهم (نيشن) وانباحت يرى انها
 مأخوذة من نيشان وقد اكتسبت هذه الدلالة من وضع المجرمين
 أحياناً هدفاً للرصاص جزاء ما كسبت ايديهم والهدف يدعونه نيشاناً
 فتالوا نيشنه اي قتله يجعله هدفاً يرمى عليه رصاص البنادق. وأظن
 انه لا تمضي مدة حتى تطلق هذه اللفظة على اي نوع من القتل.
 ومن انواع القتل عندنا « شنق » وهذه كانت تدل قبلاً على العذاب
 وفي السريانية يقال (شنق) اي عذب فحمل معناها على القتل شنقاً

لأنه من أشد ضروب العذاب وغير هذه الامثال كثير مما نشاهده ونسمعه كل يوم

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات الاعتيادية في اللغة قبل ان جمعت اذ كان يرافق التنوع المعنوي تنوع لفظي مخصوصا كل تنوع معنوي بأخر لفظي فوصلت اليها الافعال كما نشاهدها فالالفاظ الثنائية الاحادية المقطع هي الاصل في كل هذه التنوعات

بدليل ان الاصول اللغوية في سائر اللغات احادية المقطع وان لم تكن جميعها ثنائية الاحرف . ففي اللغات الآرية لنا جذور قليلة العدد هي أصل لجميع المشتقات وهذه الجذور احادية المقطع على الاطلاق منها : I اصل معنى الحركة البسيطة و ka الاضطجاع و ak الحركة السريعة و sta الوقوف و as او sad الجلوس و pad المشي و vas البقاء و sak الاطلاق و vart العود و sarp السحف و pat الطيران (وعندي ان هذه و pad المتقدم ذكرها من اصل واحد لتوافقهما في اللفظ والمعنى) و plu الفيضان و ad الاكل و pa الشرب و an النفخ الخ الخ . ومن هذه الجذور تتولد كلمات عديدة لمعانٍ متنوعة ترد بالاستقراء الى معاني جذورها

وهكذا الحال في اللغات السامية اخوات العربية فان الاصول الفعلية والاسمية ساكنة الاواخر فيها على الاطلاق والمضاعف قليل الاعتبار لفظاً في تلك اللغات الاحتمالاً على العربية وطباً للتعليل

اعتماداً على كون الاصول المجردة جميعاً ثلاثية الاحرف على انهم لا ينطقون بالمضاعف الاً مقطعاً واحداً مخففاً مثاله في السريانية سه (حش) (تألم) و صه (كس) (قصم) و ا \| (زل) (نقص) و مء (حم) (حمي) و سمر (حك) تلفظ (حخ) (حك) و سح (حن) (تحن) الخ وفي العبرانية ١١ (جز) و ١٢ (جر) و ١٣ (جر) و ١٤ (دق) و ١٥ (زك) تلفظ (زخ) طهر - الى آخره

فيرجع بقياس التمثيل ان اواخر الافعال كانت ساكنة أصلاً في العربية الاً ان اسلافنا قاطني البادية تفننوا فيه على طرق مختلفة. والامم يختلفون من جهة أواخر الكلم فمنهم من تنتهي الفاظ لغتهم بما ندعوه في لغتنا سكوناً ومن هؤلاء المتكلمون باللغات السامية الاً العربية على ان من العرب انفسهم من يستثقلون الحركة في اواخر الالفاظ فلا ينطقون بها وهم قبائل مضر واكثر المتكلمين بالعربية لهذا العهد وهناك ام لا يرتاحون الاً لتحريك الاواخر كعرب قریش وكالايطاليين والاسبانيين وكذلك كانت اللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) ومن هذا القبيل أيضاً لغة البرابرة القاطنين في النوبة. ومن الغريب ان اللغة الاشورية يكاد لا يوجد فيها لفظ ساكن الاخر بل معظم الفاظها متحركة

وجملة القول ان من الامور الراجعة قياساً والجلية استقراء ان لغتنا مؤلفة اصلاً من أصول قليلة احادية المقطع ثنائية الاحرف في الاغلب معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن

المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً وانه من هذه الاصول القليلة قد نشأت وارتقت بارتقاء افكار المتكلمين بها وتعددت الفاظها بتعدد احتياجاتهم وتنوعت طرق التعبير ومعاني الالفاظ بتنوع احوالهم وكل ذلك جرى على طرق اهمها أربع النحت والابدال والقلب والاستعارة وقد حصل معظم هذا التفرع او التنوع واللغة العربية لا تزال في حجر أمها وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن اخواتها السامية (البرانية والسريانية وغيرهما) اي اذ كانت هي وهن لغة واحدة

وهل يصعب علينا الاقتناع بذلك بعد ان شاهدنا عياناً ان من حكاية صوت واحد تولد ما فوق المئة من الاصول الفعلية الثلاثية ومن كل اصل تولدت تنوعات واشتقاقات معنوية ولفظية تبلغ المئة في البعض والخمسين في البعض الآخر . وقصارى الكلام ان من هذه اللفظة الثنائية الاحرف الاحادية المقطع تولدت افعال واسماء تفوق الآلاف عدداً . ويؤيد ذلك ما تقدم شرحه عن الالفاظ المطلقة وكيف انها مع تعددها ناشئة عن لفظ واحد او بضعة الفاظ

ولا يفوت القارىء اللبيب ان جميع هذه التفرعات ومعظم تنوعاتها وسائر الادوات اللغوية وطرق الاشتقاق والتصريف قد بلغت معظم ارتقائها في ازمئة غاب عن معرفتنا حدها . اذ ان أقدم ما جاء به التاريخ كأمس بالنسبة اليها ولا ريب لدينا انها بلغت ذلك المبلغ وهي لم تزال في حجر امها والمقابلة تثبت لنا ذلك جلياً فلا نطعم اذاً باستطاعتنا تطبيق جميع الاصول اللغوية على أصوات

تحاكيها في الخارج ونحن لا نعلم عن منشأ اللغات السامية شيئاً فاللغة السامية أو الآرامية التي يريدون بها أم تلك اللغات ليست إلا لغة وهمية ظنّ اللغويون أسبقيتها للغات السامية وعدّوها أصلاً لها استدلالاً مما شاهدوه في الفاظها وطرق تعبيرها وقياساً على سواها وهناك طريقة أخرى لوضع الصفات والنعوت وردت في « سر الليال » ويعبر عنها مؤلفه بحكاية الصفة وقد قال فيها ما نصه :

« أما حكاية الصفة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها أنها تدل على صفة شيء باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والترخيم أو الشدة والتفخيم كقولهم مثلاً (شيء منمم) أي مزخرف فهو نحو توهم الفرنسيس لفظة (مينيم) للشيء القليل الوجيز و شيء (مللم) أي مدور مضموم مجتمع وقولهم (خبخب) لرخاوة الشيء المضطرب والعامّة تقول (مخبخب) للسمن المضطرب وكقولهم (امرأة رجراجة) أي يترجرج عليها لحمها وربما التبتست هنا حكاية الصفة بحكاية الصوت وكقول العامّة (مررب) للسمن المكثّر وهو في لغة الانكليز (بللمب) بفتح اللام وسكون الميم وكقولهم (المههههه) للممشوق البدن و (الننع) للرجل الضعيف والعامّة تقول (مننع) للطيف المترفه وكقول الترك (نازك) ونحو (السلسل) للماء العذب أو البارد و (السلس) للسهل اللين و (السلسبيل) اللين الذي لا خشونة فيه و (الوسوسة) لحديث النفس و (الهمس) للصوت الخفي و (الداح) نقش يلوح المصبيان يعللون به والعامّة تقول (دح) وهي في لغة

الانكليز (دال) و (الحاد) لما يلذع اللسان و (المجنع) الطويل
الضخم ورجل (عكوك) أي قصير ملزز و (خفنجل) و (خفنشل)
اي ثقيل سمج و (مهبج) اي ثقيل النفس وضخم و (مقرقم) لمن
لا يشب و (مزكك) لمن يمر ويقارب خطوه و (زونك) لمن يمشي
ويحرك منكبيه وناقه (زيفون) اي سريعة و (كز) اي يابس متقبض
وشيء (تافه) لما ليس له طعم و (جهم) الوجه الغليظ المجتمع و (هلقق)
للقدم الضخم و (جهضم) للضخم الهامة و (خفنجي و خفنجي) للرجل
الرخولاً خير عنده و (خجوجي) للطويل الرجاين وياحق به نحو بزّه
اي غلبه وبش به وهشّ وماس وترنح وطال وفرّ ولزّ وتقزّز وقس
على ذلك « اه .

اختراع الكتابة

(١) الطريقة الطبيعية لاختراعها

خلق الله الانسان بين عاملين هما أصل الاختراع والاكتشاف
أولهما الضرورة التي تسوقه الى البحث وثانيهما النور الطبيعي الذي
يدله على أسرار الطبيعة ويهديه الى ما يساعده في حفظ ذاته ودوام
نوعه . ولو تتبعنا سائر اختراعات الناس من النار التي لم يدرك
التاريخ زمن اختراعها الى أشعة الراديو التي سمعنا بها بالأمس
لرأيت الدافع اليها كلها الضرورة على حد قولهم « الحاجة أم
الاختراع »

فقضى الانسان قرونًا متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام
ويتكلم ولكنه لا يكتب فالبث أن تكاثر وتآلف واتسعت علاقاته
وعكف على الاسفار التماساً للرزق حتى اضطر الى الكتابة لخبرة
جاره أو تدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظاته وآثاره

فلنترض قبيلاً من قبائل البشر في أول عهد العمران يقتات
أفرادها على الاعشاب واقتناص الحيوان ويأوون الى الكهوف والمفر
ألم بها مصاب همها أمره فاحبت تدوينه نحو ان أسداً وثب على
شيخها فافترسه فهاظنك في الطريقة التي يخترعونها لتدوين تلك
الحادثة . لا أخالك ترى وسيلة غير التصوير اما بالرسم او بالنقش على
ما تقتضيه حالهم من الصناعة فيرسمون اسداً واثباً على رجل ينهشه

بمخالبه او نحو ذلك . وهي اول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة ونسُميها « الدور الصوري الذاتي » وهو ابسط ادوارها لانه قاصر على تصوير الحادثة كما وقعت تماماً ولا فائدة منه الا في الحوادث المؤلفة مما يقبل التصوير . ولكن هناك معاني لا صورة لها في الخارج كالحب والبغض وكقولك اليوم والغد والصبح والمساء فضلاً عن المعاني الكافية فهذه كلها يضطر فيها الى الرموز فقد يرمز عن المحبة مثلاً بالحمامة وعن البغض بالحية وعن اليوم برسم الشمس في أعلى دائرة . فلنفرض أناساً جاؤا تلك القبيلة بجرأ وبعد مسيرهم ثلاثة أيام نزلوا الشاطي . ليلاً وكان شيخ القبيلة غائباً فأراد ابنه او احد أتباعه ابلاغه ذلك كتابة فلا نظنه بعد اعمال فكرته يهتدي الى طريقة يصور بها تلك الحادثة على غير هذه الصورة :

فيعبر عن العدو



ان الاعداء عديدون وبصورة السفينة انهم نزلوا البحر وبالقوس وفي أعلاها الدائرة وهما خط الهاجرة والشمس في أعلاه يريد اليوم وبالخطوط الثلاثة انهم ساروا في البحر ثلاثة ايام وبالشجرة البر وبالقوس وفيه رسم الهلال وشي . يشبه النجوم ان الاعداء نزلوا الشاطي . ليلاً

وهذه خطوة ثانية نحو الكتابة وفيها صور رمزية فضلاً عن الذاتية ونسُميها « الدور الصوري الرمزي » ويمكن التعبير بها عن أكثر حاجيات الانسان

ثم لا يلبثون بتوالي الأجيال ان يهتدوا الى اتخاذ صورة الشيء للدلالة على اول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على أول مقطع من (عدو) وهو العين مفتوحة واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين مفتوحة والشجرة على الشين مفتوحة وقس عليه وهو أم خطوة في اختراع الكتابة لان بها تتحول الاشكال الصورية من الدلالة على اسمائها كاملة الى الدلالة على أول مقطع من مقاطعها وهو نسميه بالدور المقطعي

ولكن في رسم صور الحيوان والنبات وغيرها مشتقة تحول دون انتشار هذه الكتابة وتداولها. على ان يد الانسان ميالة الى التنويع التماساً للسرعة واقتصاداً في الوقت فلا يلبث رسم الرجل المسلح المتقدم ذكره ان يتحول الى شكل يشبهه ثم يبعد الشبه كثيراً حتى لا يعرف لذلك الشكل شبهه مع بقاء دلالاته الاصلية. فلا يعرف الناس الا ان ذلك الشكل يدل على العدو أو على مقطع «عا» ولا يرون علاقة بينهما

ثم لا يلبث الانسان ان يهتدي الى اختراع الحركات فبدلاً من ان يدل الشكل الواحد على المقطع الواحد وهو حرف وحركة معاً يدل على الحرف فقط ويخترع له علامة تدل على الحركة او ما يقوم

مقامها فالشكل الذي كان يدل على العين مفتوحة يدل على العين بدون حركة وهكذا في ما بقي . فبدلاً من أن يكون الشكل الدال على مقطع (عا) مثلاً محصوراً في الكلمات الداخلة فيها العين مفتوحة أو مكسورة يُستعمل للدلالة على العين مطلقاً ويعبر عن الفتح أو الضم أو الكسر بعلامة تضاف إليها وفي ذلك من التسهيل والاقتصاد ما لا يخفى . وهذا هو الدور الهجائي

فالادوار التي تمرُّ بها الكتابة قبل وصولها الى نحو ما هي عليه الآن أربعة :

(١) الدور الصوري الذاتي وتدل الصور فيه على المعاني الذاتية وهو قاصر لا يمكن التعبير به الا عن أبسط الحوادث

(٢) الدور الصوري الرمزي وفيه فضلاً عن الصور الذاتية صور رمزية تدل على المعاني المعنوية التي لا صورة لها في الخارج وفي هذا الدور يمكن التعبير عن اكثر ما يمرُّ بذهن الانسان من المعاني على اختلاف أنواعها ولكن يقتضي لذلك مئات بل ألوف من الصور وفيه من المشقة ما فيه

(٣) الدور المقطعي وتدل الصورة فيه على أول مقطع من اسمها وهو خطوة كبرى في اختراع الكتابة فيبين ان اللغة في الدور السابق لا يتم التعبير عن معانيها الا بالوف من الصور يكفيها في هذا الدور بضع مئات فقط

(٤) الدور الهجائي وفيه تصبح تلك المقاطع حروفاً وهو آخر خطوة بلغت إليها الكتابة حتى الآن فانك يبضع عشرات من هذه الحروف تعبر عن كل الفاظ اللغة معها تعددت وتنوعت

(٢) تاريخ الاقلام التي استعمالها الناس حتى الآن

علمت مما تقدم الطريقة التي يمكن ان تتدرج الكتابة فيها من أبسط أحوالها الى مثل ما هي عليه الآن فلنتقدم الى تأييد ذلك بما وقع فعلاً من تاريخ الخطوط التي استخدمها البشر منذ أول عهدهم بالمران حتى بلغت ما هي عليه اليوم

والاقلام التي استخدمها الانسان من اول ازمائه الى الآن تعدت بالمئات ولكن معظمها مهمل ولسهولة البحث فيها نقسمها الى قسمين كبيرين هما : (١) الاقلام الاصلية (٢) الاقلام الفرعية

﴿ الاقلام الاصلية ﴾ نريد بالاقلام الاصلية ما توصل اليه الانسان من تلقاء نفسه على الاسلوب الطبيعي كما رأيت في « الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة »

ومن هذا النوع الاقلام التي استخدمتها الامم المتقدمة قديماً وقد عرفنا منها أربعة وهي الهيروغليفي والاسفيني والحثي والصيني فهذه الاقلام نشأ كل منها على حدة وتدرج مع الدور الصوري الذاتي الى الدور المقطعي ولكنها وقفت بين الدورين الثاني والثالث أي انها في الغالب مزيج من الدور الصوري الرمزي والدور المقطعي

﴿ الاقلام الفرعية ﴾ وهي ما تفرع من الاقلام الاصلية

وفيهما كثير من الخطوط المستعملة والمهملة من قديم وحديث وليبان ذلك نقول :

(١) * القلم الهيروغليفي * هو أم الاقلام الاصلية ومنه تفرعت اكثر الخطوط المشهورة في العالم على ما يظن وقد وصل الينا وهو في حال الانتقال من الدور الصوري الرمزي الى الدور المقطعي أي ان بعض صورته تدل على معان ذاتية وبعضها على معان رمزية وبعضها يدل على مقاطع . فمثال الدلالة الذاتية دلالة صورة الشيء على لفظه وهو متشابه في كل الخطوط الاصلية . وأما الصور الرمزية فلكل أمة اصطلاح مخصوص . ومن أمثلة الصور الرمزية عند المصريين


 فالصورة الاولى منها تدل على السلب أو الضياع والثانية صورة نجمة معلقة تدل على الظلام والثالثة ذراع مبسوطة قابضة بكفها على عصا وتدل على القوة والرابعة ساقان ماشيتان للدلالة على الحركة والخامسة رجل يده في فيه للإشارة الى أي عمل من أعمال الفم كالتكلم والطعام والشراب والسادسة صورة طير صغير يرمزون به عن الشر . وأما الصور المقطعية عندهم فهناك مثالها مع نطقها وتفسيرها وتقرأ من اليسار الى اليمين

								
+	١	تو	حر	تو	حر	حر	سرهينا	شاروهن
	أن	أن	نحن	لما	لما	لما	لما	لما

فبقي المصريون أزماناً متطاولة يكتبون بهذا القلم وتفرع منه قلمان استخدموهما معه وهما الهيراتي والديموطيقي فكانوا يستخدمون الاقلام الثلاثة معاً . على ان الهيروغليفي كان محصوراً في الكهنة والمظنون انه ما زال مستخدماً الى القرن الثالث للميلاد . أما الهيراتي فهو عبارة عن الصور الهيروغليفية وقد تشوهت هيأتها التماساً للعجلة والديموطيقي أحدثها وهو أقرب الى الحروف الهجائية . وما زالت هذه الاقلام شائعة بمصر حتى استبدالها الاقباط بالحروف اليونانية القديمة واستعاروا بعض الحروف الديموطيقية للدلالة على مقاطع قبطية لا مثال لها في اليونانية

قلنا ان القلم الهيروغليفي أصل اكثر الخطوط المشهورة والارجح ان الفضل في نقل هذه الخطوط وتفرقةها في العالم راجع الى الفينيقيين سكان سواحل سوريا في أقدم أزمنة التاريخ فانهم عاصروا الفراعنة القدماء وهم اول من سلك البحار وجاب الامصار للتجارة والاستعمار قبل الميلاد بقرون فاستخرجوا الحروف الهجائية من القلم الهيروغليفي ونقلوها الى سائر انحاء العالم فعملوها لليونان والكلدان واليهود وغيرهم قبل المسيح بقرون ومنها تفرعت الخطوط المستعملة في سائر انحاء العالم المتمدن الآن

أما توصل الفينيقيين الى تلك الحروف فكان بالاقباس والتحسين وليس بالاختراع وانما كانوا يردون مصر للتجارة فاضطروا في معاملة المصريين وغيرهم الى استخدام الكتابة وأخذوا بعض الصور

الهيروغليفية او الهيراتيية كما كانت تستعمل عند المصريين وتصرفوا في رسمها لسهولة استعمالها فاجتمع عندهم منها على توالي الايام ٢٢ شكلاً استخدموا كلاً منها لمقطع أو حرف من حروف لغتهم وسموه باسم يدل على شكله . فكان رسم الثور  مثلاً عند المصريين مستعملاً للدلالة على الثور وهو في لغتهم (أوا) فرسم الفينيقيون شكلاً يشبه رأس الثور وجعلوه للدلالة على مقطع الالف وسموه « ألف » ومعناها في الفينيقية (ثور) . واتخذوا شكلاً مربعاً يشبه البيت  ويدل عند المصريين على البيت واسمه عندهم (با) فرسموا شكلاً يقاربه ودلوا به على مقطع الباء وسموه « بيت » أي بيت . واتخذوا رسماً آخر يشبه رأس الجمل  واستخدموه لحرف الجيم وسموه (جيمل) أي جمل وهكذا في الشين المسننة فان في الهيروغليف يقابلها هذه الصورة  وهي رسم أشجار مغروسة وقس عليه سائر الحروف . فكانوا يقتبسون الحرف فيقتضبونه ويسمونه باسم يدل على شكله حتى استوفوا كل المقاطع الموجودة في لغتهم وتكوّنت الابجدية الفينيقية واسماء حروفها تدل على اشكالها كما ترى في الجدول في الصفحة التالية

فالفينيقيون نقلوا هذه الابجدية الى بلاد اليونان نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهو القلم اليوناني القديم وتقلوها الى ما بين النهرين فعلموها للاشوريين وهو القلم الكلداني القديم او الآرامي وكان الاشوريون يكتبون بالقلم الاسفيني فأهملوه واستخدموا الحرف الفينيقي لسهولة استعماله . ومن القلم اليوناني تفرّعت الاقلام الرومانية

اسماؤها باليونانية	اسماؤها بالعربية	معانيها	اسماؤها بالفينيقية	الحروف السامرية	الحروف اليونانية القديمة	الحروف الفينيقية	الحروف العربية
ألفا	الف	نور	الف	𐤀	Α	𐤀	ا
بيتا	باء	يدت	يدت	𐤁	Β	𐤁	ب
جملتا	جيم	جمل	جيميل	𐤂	Γ	𐤂	ج
دلنا	دال	باب	دالك	𐤃	Δ	𐤃	د
اي	هاء	؟	ه	𐤄	Ε	𐤄	ه
أو	واو	دبوس	واو	𐤅	Υ	𐤅	و
؟	زاي	سلاح	زين	𐤆	Ζ	𐤆	ز
ايطا	حاء	حيط	حيث	𐤇	Η	𐤇	ح
نيطا	طاء	حية	طيظ	𐤈	Θ	𐤈	ط
يوطا	ياه	يد	بود	𐤉	Ι	𐤉	ي
كبكا	كاف	كف	كاف	𐤊	Κ	𐤊	ك
لامذا	لام	مساس	لامذا	𐤋	Λ	𐤋	ل
مي	ميم	مياه	ميم	𐤌	Μ	𐤌	م
ني	نون	سمك	نون	𐤍	Ν	𐤍	ن
سغما	سين	دعامة	سامك	𐤎	Ξ	𐤎	س
؟	عين	عين	عين	𐤏	Ο	𐤏	ع
في	فاه	فم	فا	𐤐	Ρ	𐤐	ف
زينتا	صاد	سناره	صادي	𐤑	Σ	𐤑	ص
—	قاف	اذن	قوف	𐤒	Φ	𐤒	ق
رو	راء	راس	ريش	𐤓	Α	𐤓	ر
—	شين	سن	شين	𐤔	Υ	𐤔	ش
ناو	ناه	علامة	تاو	𐤕	Τ	𐤕	ت

والغوطية واليوناني الحديث والسلافي ومنها تولدت الاقلام التي تكتب
 بها لغات اوربا واميركا وغيرها . وتفرّع عن اليوناني أيضاً القلم القبطي
 كما تقدم واقلام أخرى أهملت وهي التريجاني والليسياني والاتروسكاني
 والكارباني . ومن القلم الآرامي تولدت كل الخطوط الشرقية وفي جماتها
 العبراني المربع والسطرنجيمي والنبطي والهندي ومن السطرنجيمي
 تفرّع السرياني والكوفي ومن النبطي تفرّع الخط العربي النسخي
 الذي نكتب به نحن الآن ومن الهندي تفرّعت خطوط الهند .
 وتفرّع من الفينيقي رأساً ايضاً الحرف العبراني القديم . والقبرسي
 والقرطاجني وتفرّع من العبراني القديم الحرف السامري وكلها مهملة .
 وفي الجدول بالصفحة المقابلة صور الحروف الفينيقية واليونانية
 القديمة والسامرية وبازائها ما يقابلها من الحروف العربية وترى
 المشابهة بين الفينيقي واليوناني القديم واضحة وكذلك بين هذا وسائر
 فروعه . أما الآرامي وهو أصل الخطوط الشرقية فقد كان في أول
 امره نفس الحرف الفينيقي ثم أخذ يتنوع ويتعد عنه وأول
 ما لاحظوه فيه من التفرّع انفراج أعلى الحروف ذات الزوايا وانحلال
 الزوايا والتفاف الحروف على نفسها وهاك مثالا يدل على ذلك

٢٦٤٥ ٤٧ ٦٦٥٤ ٧ ٤٢ ٢٢ ٤٢ ٢٤

ميتبا زي قرب معن بر عمرن

لصلم الها لحي نفسه

أي « العرش الذي قدمه معنان بن عمران للاله صلّم لاجل حياة نفسه » فان رؤس الباء والعين والراء قد انفجرت حتى صارت مائلة الى التربيع على ان الشكل الفينيقي لا يزال ظاهراً فيها
ثم انتشر الخط الآرامي في جهات اسيا وأخذ يتنوع عند كل أمة باختلاف أحوالها فتولدت منه الفروع المتقدم ذكرها وبهمننا منها الحرف النبطي لانه أصل الخط العربي النسخي . وقد دعوه نبطياً لانه كان مستعملاً عند النبطيين أو الانباط في مدن بصرى (أسكي شام) وجبرون وصلخد (سرخد) في حوران وغيرها وقد عثروا على شيء من هذه الكتابة في تلك الجهات فوجدوا انها على نوعين مختلفين أحدهما أقرب الى الكتابة الآرامية وهي الاقدم وهاك مثاله نقلاً عن آثار بعض جهات حوران بقرب السويدية

لصم الها لحي نفسه

نفسه دي حمرت دي بنه له ادينه بعله

أي « تمثال حمرت الذي بناه له سيده ادينه »

والآخر أقرب الى الخط العربي المعروف وقد عثر الباحثون على كتابة من هذا النوع منقوشة على حجر وقد تلاحت حروفها نوعاً وذلك أول اتصال الحروف العربية ببعضها ببعض وهاك مثالها

١٦٥٧ ١٦٥٨ ١٦٥٩ ١٦٦٠ ١٦٦١ ١٦٦٢ ١٦٦٣

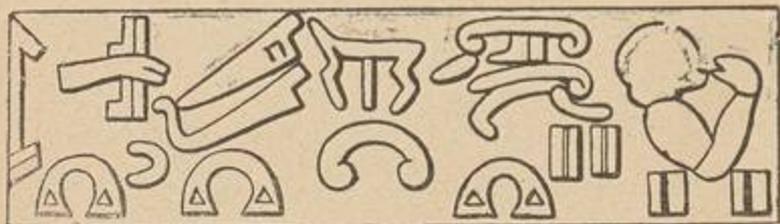
دخ قبراً دى عبد عيدو بن كهيلو بن

أى « هذا هو القبر الذي صنعه عيدو بن كهيلو بن . الخ »

والكتابة المشار اليها تشير الى القبر الذي اصطنعه عيدو بن كهيلو
ابن القصي لنفسه وأولاده وذريته وقد استنتجوا من نص الحكاية
انها كتبت ما بين السنة التاسعة ق . م . والخامسة والسبعين بعده

(٢) * القلم الحثي * الحثيون أمة قديمة عمرت سوريا واسيا

الصغرى في أوائل التمدن القديم فعاشرت الفراعنة القدماء و حاربهم
وحاربت الاشوريين وغيرهم وقد بادت وانقطعت أخبارها قبل الميلاد
بأجيال . ولكن علماء الآثار عثروا في القرن الماضي على كتابة
منقوشة على أحجار عليها كتابة سورية كالكتابة الهيروغليفية وقد
تمكنوا من حل بعضها فوجدوا انها كتابة أصلية مستقلة عن القلم
الهيروغليفي . وهاك صورة بعض ما وجدوه على حجر في حارة الدهان
بجدة (سوريا)



(٢١)

الفلسفة الفوية

فيريدون بصورة اليد في الفم الدلالة على التكلم . والمرعان تحتها
يدلان على مقطع (ما) والشكل الذي يشبه نعال الفرس ومنه ثلاثة
أشكال من أسفل يدل على مقطع (إس) ويراد به الدلالة على الفاعلية
وقس على ذلك باقي الدلالات مما لم يقفوا على تمام حله بعد . والظاهر
ان القلم الحثي قلما ولد اولاداً او لعله ولد اولاداً نسوه لان الخطين
الحميري والحبشي في اعتبارنا متخلفان عن الحثي لمشابهة بينهما وبينه
وخصوصاً ان العلماء كانوا في ريب من أمر هذين الخطين فلم يعثروا
لهما على أصل يرجعان اليه فالقلم الحثي اقرب سائر الخطوط اليهما على
ما نرى . وهاك صورة الخط الحميري

ض	□	ا	ا ا ا
ط	□	ب	П А А А А
ظ	ا ا ا ا	ج	□ □ П П
ع	○	ت	X X
غ	٦ ٣ ٦ ٣ ٦ ٣	ث	8 8
ف	○ ○	ح	٦ ٢
ق	٥	خ	ψ ψ
ك	ا ا ا ا	د	ψ ψ ψ ψ
ل	٦ ٢ ٦ ٢	ذ	٥ ٥ ٥ ٥
م	8 B 0 0 0 0	ر	Н Н Н Н Н
ن	٥ ٢ ٥	ز	> <) (٥
و	○ ○ ○ ○	س	4 2 5 > <
هـ	٥ ٥ ٥	ص	X X X
ي	٥	ض	ا ا ا ا
		ط	ε ε ε ε
		ظ	3 ε ε 3
		ع	ا ا ا

وهالك مثلاً للخط الجبشي :

λγΗλπδϵ : λζϞϠ : ϙΑϞϞ : ϞϙϙΔϙ :

فترى بينه وبين الحميري مشابهة كلية إلا ان الجبشي يكتب من اليسار الى اليمين . فالحرف الاول من اليسار (الف) وهي كثيرة الشبه بالالف الحميرية والحرف الثاني (جيم) والثالث (زاي) وهو كالذال الحميرية تماماً وقس عليه

(٣) * القلم الاسفيني * وهو القلم الذي كان الاشوريون والبابليون يستخدمونه قبل وصول الحروف الفينيقية اليهم وتسمى كتابتهم بالاسفينية او المسحارية لمشابتها بالسامير او الاسافين وهي من قبيل الدور الصوري الرمزي مع شيء من المقطعي ومن أمثالها قولهم (كالو)  ومعناها (احرق) ومعظم اطلال بابل واشور في العراق تغشاها هذه الكتابة نقشاً على حجارة طينية كانوا يطبعون الاحرف بأدوات تشبه الاسافين او المسامير على الطين النيء ثم يتركونه ليجف بخلاف المصريين القدماء فانهم كانوا ينقشون كتابتهم على الحجر . وقد يتبادر الى الذهن لأول وهلة ان هذه الكتابة ليست من الصورية في شيء ، ولكن بالتأمل يتضح انها متخلفة عن كتابة صورية سابقة لها لاننا بالرجوع الى اقدم انواعها نراها تقرب من الاشكال والرسوم . ولا نعرف قلماً تفرع عن الاسفيني

(٤) * القلم الصيني * والكتابة الصينية قديمة وأشكالها تدل على الفاظ كاملة كما قدم انواع الكتابة ولذلك فان اشكالها تعد بالآلاف والالوف ولكن لا يظهر عليها انها صورية على اننا لو تأملنا لرأيناها متخلفة عن أصول صورية تغيرت بمرور الاعوام فترى في هذا الرسم **因 甚 子 几 亡** امثلة من الكتابة الصينية ولدى التأمل يظهر لك انها تشبه رسوماً حقيقية . وللغات الصينية انواع كثيرة من الحروف ترجع كلها الى اصل واحد صوري فقد بتوالي الاجيال . وحكمنا على اللغات الصينية مسند بالأكثر الى قياس التمثيل

وفي الصفحة التالية جدول يبيناً فيه تفرع الاقلام القديمة والحديثة من اصولها

(انظر الجدول في الصفحة المقابلة)

* جدول تفرع الأقلام الفرعية عن الأقلام الأصلية *

الروماني	وبه تكتب معظم لغات أوروبا وأمريكا	اليوناني القديم	الحرف الفينيقي	المبروغليف المصري
القوطي	» » لغات جرمانيا			
اليوناني الحديث	» » بلاد اليونان			
القبطي	» » اللغة القبطية			
السلافي	» » لغات روسيا			
الفرنجياني	(مهمل)			
الديسياني	»			
الأتروسكاني	»			
الكارباني	»			
الهندي	على أنواعه			
العبراني المربع	وتكتب به اللغة العبرانية			
السطرنجيلي	} السرياني			
		} السكوفي		
النبطي	ومنه العربي النسخي المشهور			
التدمري	(مهمل)			
العبراني القديم	ومنه السامري (وكلاهما مهمل)			
القبرسي	(مهمل)			
القرطجي	»			
الطبري	} الحبشي وتكتب به لغة الحبش			
الاسفيني		الاشوري	الصيني	
الاقلام الصينية واليابانية				

العدُّ والارقام

كيف تعلم الانسان العدَّ واخترع الارقام

﴿ استنباط العدِّ ﴾ العدُّ بالارقام قديم جداً وقد احتاج الانسان الى العدِّ قبل احتياجه الى التكلم فقضت اجيالاً عديدة قبل ان تولدت اللغة وهو يعدُّ بالاشارات . وأساس العدد عنده الاصابع ولا يزال اثر ذلك باقياً الى اليوم . فان الخرس حتى في أعرق الامم في المدنية يعدُّون على أصابعهم . وفي لغات الامم المتوحشة الفاظ تؤيد هذا القول فان أهل الزولوس اذا أرادوا التعبير عن الستة قالوا « تاتيسيتوبا » وتفسيرها في لسانهم « أخذ الابهام » ومعنى ذلك ان الحاسب عدَّ أصابع احدى يديه وضم اليها الابهام من اليد الاخرى ولهذا السبب أصبح لفظ اليد والقدم والانسان أعداداً في كثير من اللغات . فان بعض قبائل الهنود على ضفاف نهر اورينوكوبا ميركا الجنوبية يعبرون عن الخمسة بقولهم « اليد كلها » وعن الستة بقولهم « واحد من اليد الاخرى » وهكذا الى العشرة فيقولون « اليدان » ويعبرون عن الاحد عشر بقولهم « واحد الى القدم » ثم « اثنان الى القدم » وهكذا الى الخمسة عشر فيقولون « كل القدم » ثم « واحد الى القدم الاخرى » ويتدرجون على هذه الكيفية الى العشرين فيقولون « انسان » ثم يقولون « واحد الى أيدي الرجل الآخر » أي واحد

وعشرون . ولا يزالون على نحو ما تقدم الى الاربعين فيقولون
« رَجَلان »

فاذا علمت ذلك هان عليك تعليل السبب في اتخاذ العشرة أساساً
للعدد لانها مجموع أصابع اليدين . والظاهر ان أجدادنا جعلوا قاعدة
العدد اولاً الخمسة لانها أصابع يد واحدة ثم جعلوها العشرة لسبب
لانعامه . فان زنوج السديغال في غربي افريقيا لا يزال أساس العدد
عندهم الخمسة فاذا عدوا الى الخمسة وأرادوا ما بعدها قالوا « خمسة
واحد . خمسة اثنين . خمسة ثلاثة . الخ » كما تقول نحن « احد عشر .
اثنا عشر . ثلاثة عشر . الخ » ولا يزال اثر هذا النمط من العدد
محفوظاً في الارقام الرومانية التي كان الرومانيون يستخدمونها قبل
استخدام الارقام الهندية كما سيأتي

على ان بعض الامم يجعلون أساس العدد العشرين . ومن هذا
القبيل تعبير الانكليز عن الثمانين بقولهم Fourscore أي أربعة
عشرينات . وقول الفرنساويين لهذا المعنى Quatre-vingt . فيقول
الانكليز Fourscore and three والفرنساويون يقولون Quatre-vingt trois
أي ثلاثة وثمانون . ويدل ذلك على ان بعض قبائل الجرمان القدماء
كانوا يعدون بالعشرين وهي مجموع أصابع اليدين والرجلين . على
ان الجمهور يعدون بالعشرات وعليها وضعت الارقام
* الارقام * أما وضع العلامات للدلالة على الاعداد فانه
طبيعي وقد تدرج الى ما نسميه بالارقام . وبديهي ان الانسان لما

أراد في أول الكتابة ان يدون الاعداد عبر عن الواحد بخط أو نقطة أو عقدة أو فرض في عود فاذا أراد الاثنان ضاعفها كما يفعل بعض هنود اميركا الى اليوم وهكذا كانت تفعل الامم التي تمدنت قديماً وربما ظل الانسان أجيالاً لا يعدُّ بغير هذه العلامات ولو تجاوز العشرة او المئة . ثم رأى في ذلك مشقة وتشويشاً لانه اذا أراد التعبير عن المئة مثلاً رسم مئة خط أو نقطة أو عقدة بالخيط مئة عقدة أو فرض في العود مئة فرضة . فدلته الحاجة الى اختراع كفاه مؤونة هذه المشقة . فوضع علامة للخمسة وأخرى للعشرة ومثلها للخمسين والمئة والالف . فاذا أراد التعبير عن خمسة عشر مثلاً رسم العشرة والخمسة بجانبها أو الثلاثين رسم ثلاث عشرات او ٣٥ رسم ثلاث عشرات وخمسة . على ان بعض الامم خالفت البعض الآخر في ذلك فلم تضع علامة للخمسة ولا للخمسين بل دلوا على الاولى بخمسة آحاد وعلى الثانية بخمس عشرات — كذلك فعلت الامم التي تمدنت قديماً في مصر وفينيقية وتدمر كما يؤخذ من آثارهم الباقية

وترى في الشكل الآتي صور الأرقام عند المصريين القدماء . وبجانبها الأرقام الهيراتية المتخلفة عنها ثم الأرقام الفينيقية وتليها التدمرية ثم السريانية القديمة وقد تدرجت فيها تدريجاً فترى الأرقام الهيروغليفيه أبسطها كلها لانها فاصرة على مضاعفة الواحد والعشرة والمئة تليها الأرقام الفينيقية وفيها علامة خاصة بالعشرين ثم التدمرية وفيها علامة للخمسة وأخرى للعشرين .

الهيوغابني الهيراني الفينيقي التدمري السرياني

١	١	١	٢٢١	١	٢
٢	٢	٢	٤٩	٢	٣
٣	٣	٣	٩٦	٣	٤
٤	٤	٤	١٧٦	٤	٥
٥	٥	٥	٢٧١	٥	٦
٦	٦	٦	٣٧٢	٦	٧
٧	٧	٧	٤٧٩	٧	٨
٨	٨	٨	٥٩٢	٨	٩
٩	٩	٩	٧١١	٩	١٠
١٠	١٠	١٠	٨٣٦	١٠	١١
١١	١١	١١	٩٦٧	١١	١٢
١٢	١٢	١٢	١١٠٤	١٢	١٣
١٣	١٣	١٣	١٢٤٧	١٣	١٤
١٤	١٤	١٤	١٣٩٦	١٤	١٥
١٥	١٥	١٥	١٥٥١	١٥	١٦
١٦	١٦	١٦	١٧١٢	١٦	١٧
١٧	١٧	١٧	١٨٧٩	١٧	١٨
١٨	١٨	١٨	٢٠٥٢	١٨	١٩
١٩	١٩	١٩	٢٢٣١	١٩	٢٠
٢٠	٢٠	٢٠	٢٤١٦	٢٠	٢١
٢١	٢١	٢١	٢٦٠٧	٢١	٢٢
٢٢	٢٢	٢٢	٢٨٠٤	٢٢	٢٣
٢٣	٢٣	٢٣	٣٠٠٧	٢٣	٢٤
٢٤	٢٤	٢٤	٣٢١٦	٢٤	٢٥
٢٥	٢٥	٢٥	٣٤٣١	٢٥	٢٦
٢٦	٢٦	٢٦	٣٦٥٢	٢٦	٢٧
٢٧	٢٧	٢٧	٣٨٧٩	٢٧	٢٨
٢٨	٢٨	٢٨	٤١١٢	٢٨	٢٩
٢٩	٢٩	٢٩	٤٣٥١	٢٩	٣٠
٣٠	٣٠	٣٠	٤٦٠٤	٣٠	٣١
٣١	٣١	٣١	٤٨٦٧	٣١	٣٢
٣٢	٣٢	٣٢	٥١٤٠	٣٢	٣٣
٣٣	٣٣	٣٣	٥٤٢٣	٣٣	٣٤
٣٤	٣٤	٣٤	٥٧١٦	٣٤	٣٥
٣٥	٣٥	٣٥	٦٠١٩	٣٥	٣٦
٣٦	٣٦	٣٦	٦٣٣٢	٣٦	٣٧
٣٧	٣٧	٣٧	٦٦٥٥	٣٧	٣٨
٣٨	٣٨	٣٨	٦٩٨٨	٣٨	٣٩
٣٩	٣٩	٣٩	٧٣٣١	٣٩	٤٠
٤٠	٤٠	٤٠	٧٦٨٤	٤٠	٤١
٤١	٤١	٤١	٨٠٤٧	٤١	٤٢
٤٢	٤٢	٤٢	٨٤٢٠	٤٢	٤٣
٤٣	٤٣	٤٣	٨٨٠٣	٤٣	٤٤
٤٤	٤٤	٤٤	٩١٩٦	٤٤	٤٥
٤٥	٤٥	٤٥	٩٦٠٠	٤٥	٤٦
٤٦	٤٦	٤٦	١٠٠١٤	٤٦	٤٧
٤٧	٤٧	٤٧	١٠٤٣٨	٤٧	٤٨
٤٨	٤٨	٤٨	١٠٨٧٢	٤٨	٤٩
٤٩	٤٩	٤٩	١١٣١٦	٤٩	٥٠
٥٠	٥٠	٥٠	١١٧٧٠	٥٠	٥١

(ش ١) الارقام القديمة

ثم السريانية القديمة وفيها علامة للثلاثين وأخرى للخمسة ومثلها للعشرين فضلاً عن علامات للواحد والعشرة والمئة . فالسريانية خطت الخطوة الأولى نحو الارقام الهندية باتخاذ علامة خصوصية للثلاثين . ولا يدل ذلك على ان الهندية مشتقة منها او مرتقية عنها اذ يتفق أن يقع ذلك على سبيل التوارد

وظل الانسان قروناً عديدة بعد ان تمدن وهو يحسب ويعد قبل اختراع الارقام الخصوصية للأحاد اي ٠٩٨٧٦٥٤٣٢١ المعبر عنها

بالارقام الهندية . وبعد استنباط الاحرف الهجائية استعاضوا عن تلك
العلامات بأحرف مقطعة من أوائل الالفاظ الدالة على تلك الاعداد .
فاليونانيون القدماء دلو على الواحد بهذه العلامة (I) وهي خط بسيط
يشير الى الوحدة من طبيعته . ودلوا على الخمسة بالياء (II) وهي مقطعة
من (Πεντε) (خمسة) وعلى العشرة بالذلتا (Δ) وهي مقطعة من
(Δεκα) عشرة وعلى المئة بهذا الحرف Η وهو غير مقطوع من اسم
المئة عندهم ولعل لاستخدامه سبباً آخر . ودلوا على الالف بأول
حرف من لفظ الالف عندهم وهو X من Xίλιοι (الف) والمظنون ان
اليونانيين استخدموا هذه الاعداد من أيام صولون ولكنهم ينسبونها
الى هيروديان الفرماطيسي الذي وصفها في آخر القرن الثاني للميلاد
واقترح الرومانيون باليونان في استخدام الاحرف بدل الارقام
على نحو ما تقدم وان كانت لا ترد كلها الى الفاظ تدل على قيمتها .
فالارقام الرومانية هي 1 (I) و 5 (V) و 10 (X) و 50 (L) (خمسين)
و 100 (C) و 500 (D) و 1000 (M) وهي لا تزال شائعة عند
أمم أوروبا الى اليوم يستخدمونها في بعض الاحوال

ويقال نحو ذلك في استخدام الابجدية في اللغات السامية بدلاً
من الارقام . وكان الاصل في استخدامها ان يدلوا بالحرف على موضعه
من الابجدية باعتبار عدد ما قبله . فالاحرف العبرانية مثلاً ٢٢ حرفاً
فكان الحرف الأخير (التاء) يقوم مقام ٢٢ ثم تفننوا يجعل الاحرف
التسعة الاولى تنوب عن الآحاد التسعة و الاحرف العاشر وما بعده

تدل على العقود . ومن الحرف التاسع عشر الى ٢٢ على المئات فكان
 اكبر عدد يعبرون عنه بها ٤٠٠ وهو التاء . وأما العرب فعندهم ستة
 أحرف زائدة فصارت الابدادية ٢٨ حرفاً آخرها قيمته العددية الف
 وهالك الابدادية العربية وقيمة كل منها وهو ما يعبرون عنه بحساب
 الجمل على هذه الصورة :

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠
ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت
٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠
	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ				
	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠				

﴿ الارقام الهندية ﴾ هي الارقام الشائعة في العالم المتمدن الآن
 ويسمياها الافرنج الارقام العربية . والسبب في ذلك ان هذه الحروف
 استنبطها الهنود في زمن لا نعرفه والصفة المميزة لها « الصفر »
 وتخصيص كل عدد من الآحاد بعلامة خاصة الى التسعة وتحويل هذه
 الآحاد الى العشرات باضافة صفر الى جانبها والى المئات باضافة
 صفرين والى الالوف بثلاثة اصفار الى ما لا نهاية له . وهي مبنية على
 مبدأ اقتصادي لانها قاصرة على عشر علامات يعبر بها عن أي مبلغ
 يمكن ان يتصوره العقل مما لا يتأتى بالابدادية ولا بغيرها
 والظاهر ان العرب أخذوا هذه الارقام عن الهنود في جملة

ما أخذوه عنهم من العلوم الرياضية كاللتنجيم والهيئة ونحوهما في أواسط القرن الثاني للهجرة . ويظن بعض المحققين أنها نقلت مع زيج حمله بعض أهل الهند الى بغداد سنة ٧٧٣ م . وأول من شرحها من المسلمين ابو جعفر محمد الخوارزمي في القرن التاسع للميلاد ثم شاعت بين المسلمين في دواوينهم ومؤلفاتهم حتى اذا احتك بهم الافرنج في القرن الثاني عشر باسبانيا واخذوا عنهم الحساب من كتاب ينسب الى الخوارزمي المذكور فسموه باسمه . ويظن رينو المستشرق الفرنسي الشهير ان لفظ Algorithm الافرنجية منحوتة من الخوارزمي ^(١) وهي أثر لفضل العرب على الافرنج في الحساب وكذلك Zero الافرنجية فانها منحوتة من « صفر » العربية . وشاعت الارقام الهندية في أوروبا وسماها الافرنج أرقاماً عربية لانهم اخذها عن العرب

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠
الارقام الناناغانية	-	=	≡	∗		∅	∩			∅
ارقام الاحافير الهندية	-	=	≡	∗	∅	∩	∪	∩	∪	∅
الارقام الدفناجيرية	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠
العربية الشرقية	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠
العربية المغربية والغويارية	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠
ارقام بوتوس	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠

(ش ٢) الارقام الهندية

وفي الشكل الثاني أمثلة من الارقام الهندية القديمة وكيف تدرجت حتى وصلت الى ما كانت عليه حينما أخذها العرب وكيف

(١) والواو في خوارزم تكتب ولا تلفظ

تنوعت عندهم . وهي في كل حال تختلف عن الارقام الشائمة اليوم عندنا وعند الافرنج ولكن يظهر للمتأمل مع ذلك انها من أصل واحد فالارقام الناناغائية (ش ٢) كانت مستخدمة عند الهنود في القرن الثاني قبل الميلاد وتشبهها ارقام الاحافير الهندية وكلاهما قريب من الارقام القديمة البسيطة . اما الارقام الدفناجرية فانها تمتاز عن السابقتين بوجود الصفر فضلاً عن اتمام تولد الارقام التسعة الاخرى . وأقدم ما عثروا عليه من هذه الارقام مكتوب في نحو القرن الثامن للميلاد . ويلى ذلك الارقام العربية القديمة ويسمونها الشرقية وهي منقولة عن أصل مكتوب في القرن العاشر للميلاد في شيراز وتختلف عن أرقام هذه الايام ولكنها كثيرة الشبه بها . وكانت تختلف عن الارقام التي كان يستخدمها العرب في الاندلس وغيرها من بلاد المغرب كما ترى في الارقام الغوبارية (ش ٢) وهي التي كانت تستعمل في بلاد المغرب وأخذها الافرنج في القرن الثاني عشر والشبه بينها وبين الارقام الافرنجية الشائمة اليوم ظاهر

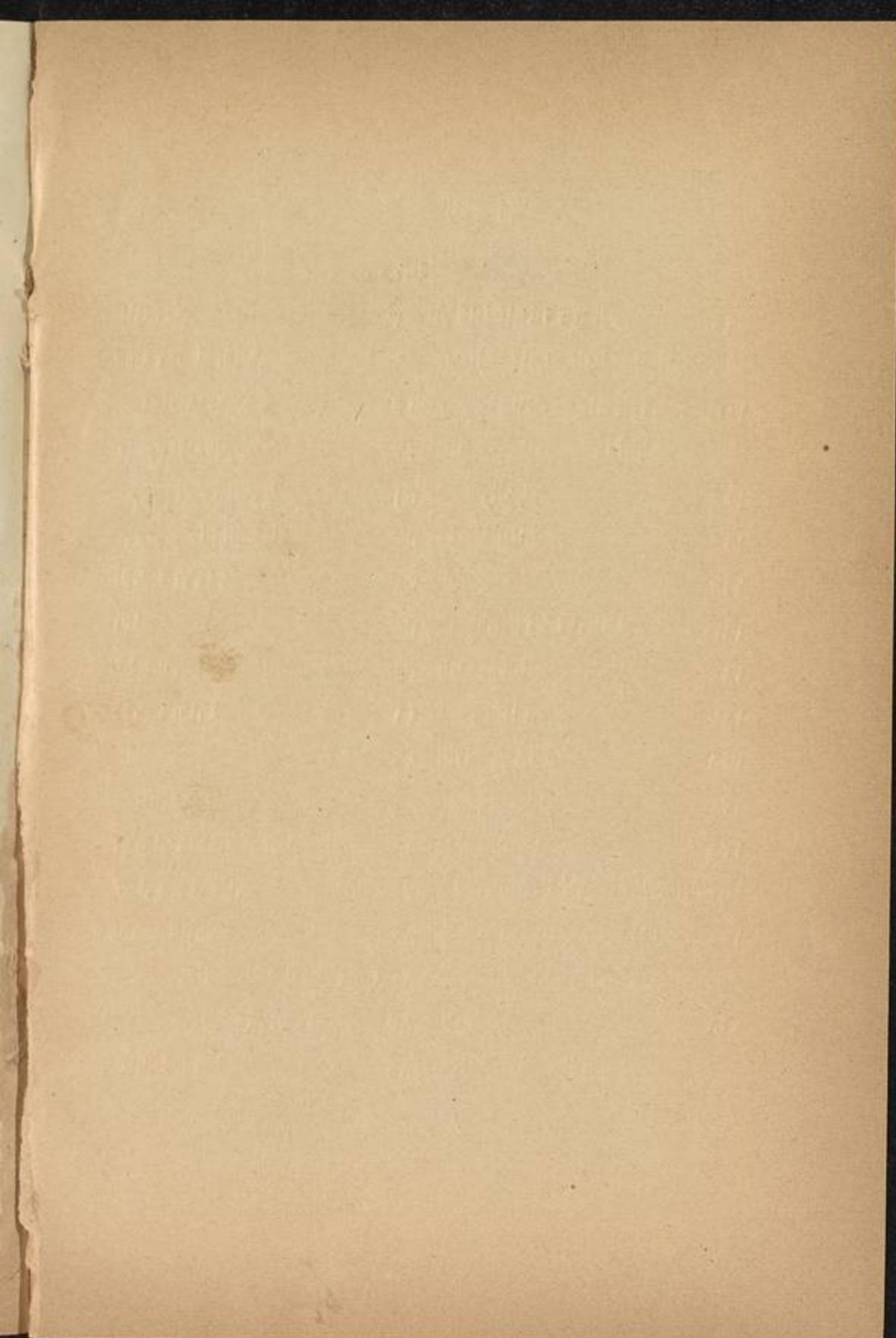
اما بوتيس فهو من فلاسفة الرومانيين في القرن الخامس للميلاد وينسبون اليه الارقام المرسومة في السطر الاخير (ش ٢) . وكان الافرنج يستخدمونها في اوربا حوالي القرن الخامس للميلاد ثم ضاعت قبل الفتح الاسلامي ولذلك زعم بعض الافرنج ان الارقام الهندية (او العربية) التي ظهرت في القرن الثاني عشر في اوربا ليست مما نقله العرب اليهم وانما هي عبارة عن احياء أرقام بوتيس - قالوا ولعل

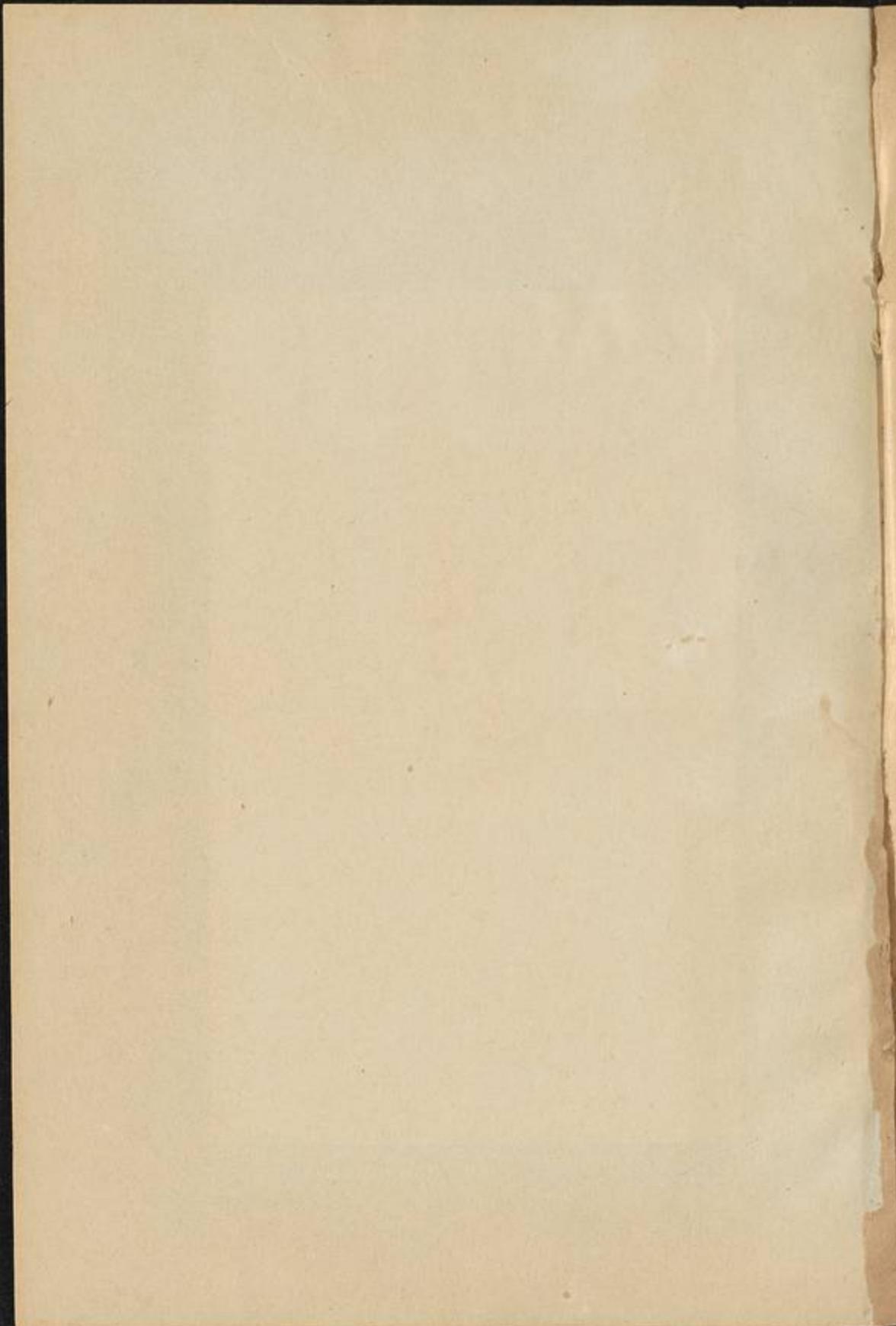
المسامين في المغرب اقتبسوا هذه الارقام عن الافرنج ثم عاد الافرنج
فأخذوها عنهم - على ان مزاعمهم في هذا الشأن لا تزال ضعيفة ولا
يزال جمهور مؤرخيهم مجمعين على ان الارقام الشائعة في اوربا الآن
منقولة عن العرب وهؤلاء نقلوها عن الهنود

﴿تم الكتاب﴾

فهرست الفصول

صفحة		صفحة	
٩٦	الالفاظ المطلقة قابلة الرد	٣	المقدمة
٩٨	الضمائر في امهات اللغات السامية	٩	اللغة واقسام اللغات
١٠٣	اسم الاشارة واسم الموصول	١٧	اصل اللغات
	فهل من علاقة بين هذا الاصل	٢٧	ما هي اللغة العربية
١٠٥	والضمائر	٣١	كم هي العلوم اللغوية
١٠٩	القضية الخامسة	٣٢	موضوع هذا الكتاب
١١٢	النتيجة	٣٤	القضية الاولى
١١٣	هل اللغة توقيفية او اصلاحية	٣٤	القلب
١١٤	الطريقة الطبيعية للتكلم	٣٥	الابدال
١١٧	الدور التقليدي	٤١	القضية الثانية
١١٨	التفاهم بالاشارات	٤٦	النحت
١٢٢	التفاهم بالاصوات	٦٥	اشتقاقاات وتصاريف جديدة
١٢٨	الدور المنطقي	٦٨	مزيدات الافعال وتصاريفها
١٥٠	الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة	٧٥	تصاريف الاسماء
١٥٤	تاريخ الاقلام التي استعملها الناس	٨٠	القضية الثالثة
	كيف تعلم الانسان العدة واخترع	٨٠	كيف ترد الالفاظ الى اصول ثنائية
١٦٦	الارقام	٨٥	كيف حصلت هذه التنوعات
	﴿ تم الفهرست ﴾	٩٦	القضية الرابعة





893.72

J9793

JUN 27 1947

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58879617

893.72 J9793

Falsatah al-hughawiy

AP